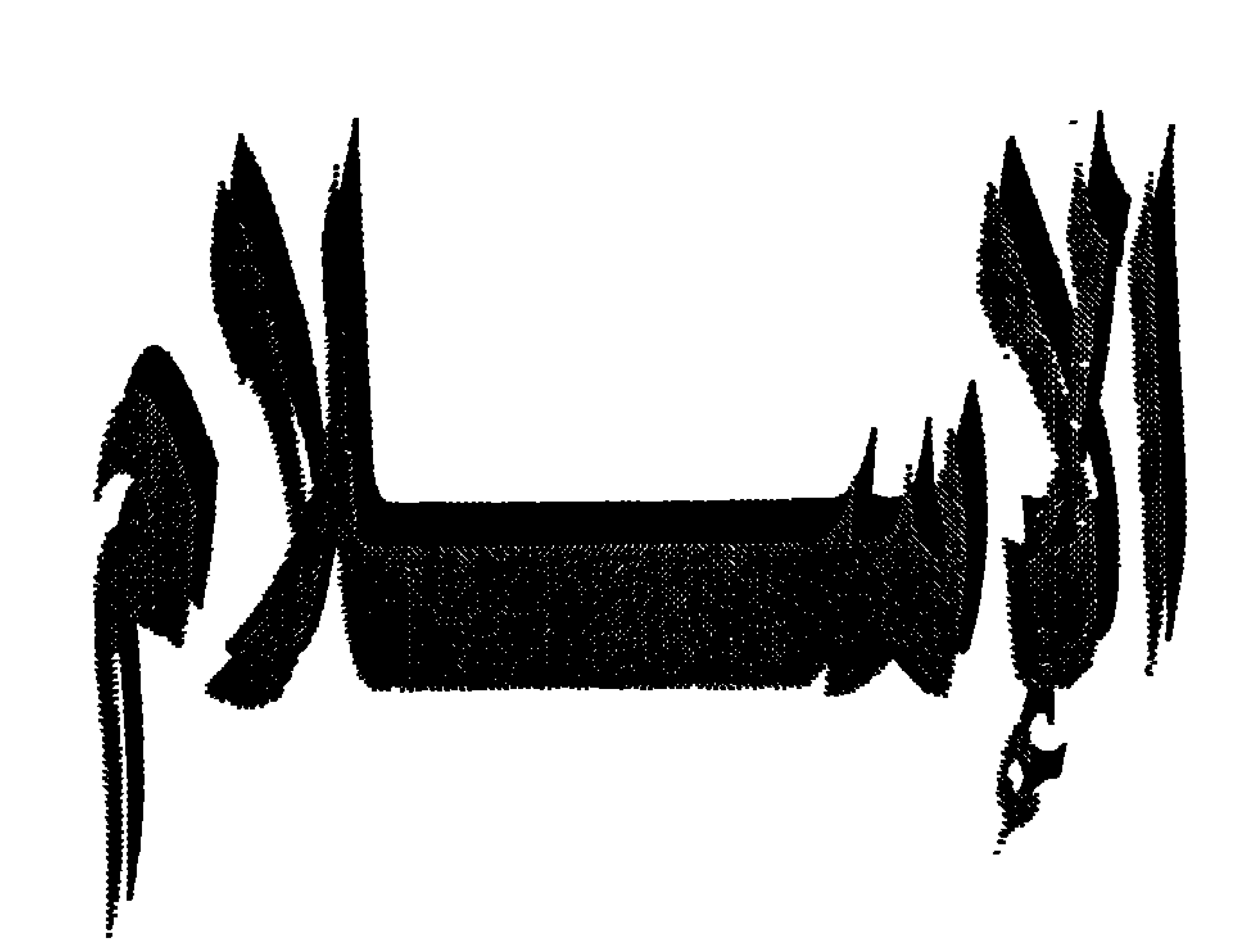

الإسلام
فى صحف الأولين
وكتب المرسلين
كتبه خادم الكتاب إن شاء الله
الدكتور محمد محمود سعيد
الناشر دار الغد العربى



الإسلام في صحف الأوَّلين وكتب المرسَلين

كتبه

خادم الكتاب - إن شاء الله

الدكتور

محمد محمود سعيد



الناشر

دار الغد العربى

٣ شارع دانش العباسية ـ القاهرة

ت : ٢٨٤٣١١٥ ـ ٢٨٥٦١٢٢

الناشر

دار الغـد العربى

٣ شارع دانش ـ العباسية ـ القاهرة

ت : ٢٨٤٣١١٥ ـ ٢٨٥٦١٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتقسيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: ....

فلقد نظرت فى خلق الله من الإنس عقائدهم فوجدتهم على فرق ثلاث، فمنهم الملاحدة الذين ينكرون وجود الله فينكرون بالتالى رسله والأنبياء، ويلحق بهم خلق يقولون بوجود خالق للكون ولكنهم ينكرون الرسل والأنبياء مبعوثين من الخالق، ويرون فيهم مصلحين جاءوا بما هو من عندهم ونسبوه إلى الخالق ولا برهان لهم فيما زعموا. ومنهم عبدة الأوثان وكل ما هو غير الله، ويلحق بهم أصحاب الملل الوضعية مثل البرهمية والبوذية والكنفشيوسية، ومنهم أصحاب الأديان السماوية المؤمنون بالله وبكتاب أو أكثر مما أنزل، وبرسول أو أكثر ممَّن بعث، ويلحق بهم أصحاب النحل ممَّن أدخلوا على ما آمنوا به من كتاب ما ليس منه فى شىء أو صدَّقوا بغير نبىٍّ مع من صدَّقوا به من رسول أو رسل، ومنهم ـ ممَّن آمنوا بموسى عليه السلام وبكتابه ـ العنانية والعيسوية واليوذعانية، وممَّن آمنوا بالمسيح عيسى ابن مريم وبموسى عليهما السلام وبكتابيهما ـ الملكانية الذين أخبر عنهم القرآن العظيم بقوله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾

[المائدة: ٧٣].

واليعقوبية الذين أخبر عنهم القرآن العظيم بقوله تعالى :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾

[المائدة: ٧٢].

وممَّن آمنوا بموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام البهائيون والقديانيون .

ثم إنه كان مني ـ من بعد ـ أن نظرت في أصحاب الفرقة الثالثة من الفرق الثلاث ـ أعني بهم المؤمنين بالله وبكتاب أو أكثر مما أنزل وبنبيٍّ أو أكثر ممَّن بعث ـ عقائدهم وكتبهم، وتدبرت قوله تعالى :

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾

[البينة : ٥]

وقوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

[النحل : ٣٦]

فعلمت أن الدين هو الحنيفية فهو الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به ، وهو العمل بأوامره وأخصُّها عبادة الله ، وأنه لما كان الدين موجودا قبل أن يبعث الله نبيَّه سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام وكان قوله الأزلي سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

[آل عمران : ١٩]

فإنه يكون «للإسلام» معنى عام هو إنه «شهادة أن لا إله الله ، والإقرار بما جاء من عند الله والعمل به» ، وإنه لما كان الدين لا يتم إلا بالعمل ومنه العبادة بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومنه العمل بالشريعة ، وكان المقصود بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ـ بعد

بعثـة رسول الله ﷺ ـ هو إقام صـلاة المسلمين وأداء زكاتهم كـما بيّـنها رسول الله ﷺ، وكان العمل بالشريعة إنما يعنى العمل بالشريعة الإسلامية، فإنه يكون للإسلام معنى خاص يتمثّل فى الدين الـذى بُعث به محمد عليه الصـلاة السلام؛ ولهذا كـان منى أن بحثت عن الإسلام بمعنييـه فى الصحف التى أنـزلت على أنبيـاء الله وفى الكتب التى أنـزلت على الـرسـولين الكريمين مـوسى وعيسى عليهما صلـوات الله وسلامه فجـاء هذا الكتاب الـذى فصّلته على النحو الآتى:

باب تمهيـــــد:

فى التعريف بالصحف والكتب والإسلام.

البـــــاب الأول:

الإسلام فى صحف الأوّلين.

ويتضمن ثلاثـة فصول، أولها: فى صحف إدريـس عليه السلام، وثـانيها: فى صحف إبراهيم عليه السلام، وثالثهـا: فى صحف موسى عليـه السلام، وينتهى هذا البـاب ببيان النتائج المستخلصة ممّا تم تناوله من النصوص والأحداث.

البـــــاب الثانى:

فى الإسلام فى كتب المـرسلين، ويتضمن ثلاثة فصـول، أولها فى: الإسلام ورسـوله فى كتاب موسى، وثـانيها فى: الإسلام ورسولـه فى أسفار العهد القديم، وثـالثها فى: الإسلام ورسوله فى كتاب المسيح.

خاتمـــــــة:

تتضمن موجزا مختصرا لنتائج البحث.

●*●*●*●*●*●*●



إلى الشاب الـذى حَسُنَ بى ظنُّه فـاعتاد أن يسألنى عمَّـا لـم يحط بعلمه ، والـذى آمل ألاَّ أكون ممَّن غرَّهم بالله الغرور حين أجبته سؤله . .

إلى ضياء الدين سيد محمد ، وقد جاء هذا الكتاب ثمرة سؤال من أسئلته .

الكاتب

باب تمهيـــــد

فى التعريف بالصحف، والكتب، والإسلام

١ـ الصحف:

الصحيفـة هى «الكتـاب» بمعنى كل مـا كتب فى مـادة من المـواد أو عليهـا، وجمعهـا «صحف»، «وصحائف»، ويتساوى فى معنى «الصحيفـة» جميع المواد التى تقبل التدوين عليها، فيتصور أن تكون حجرا أو جلدا أو ورقـا أو نباتا أو غير ذلك من المواد، وذلك بقطع النظر عن وسيلة الكتـابة أو التدوين، فقد تكـون هى الحفْر وقد تكون باستعمـال سائل يترك أثرا كـالمداد، أو بـاستعمال مادة صلبـة تترك أثـرا مثل الحجر الجيـرى والجرافيت، وبقطع النظر أيضا عن شكل الكتـابة التى قد تكون الصـور والرسوم، وقد تكون بـاستعمال الحروف والكلمات دونما اعتبار لماهية اللغة المستعملة حروفها أو كلماتها.

وليس هـذا هـو المقصود «بـالصحف» فى هـذا المقـام، فهـذا المعنى أعم وأشمل من المعنى المقصود، فـالمقصود هو مـا كتب من الصحف فى الملأ الأعلى بأيدى سفـرة كرام بـررة، فالكتـابة المعنيـة هى الكتـابة فى اللـوح المحفوظ. فهـى ـ بهـذا المعنى ـ جـزء من الصحف أو بعض منهـا يتميـز منهـا ويمتـاز عليهـا بأنـه لا يتضمن إلا قـول الله سـبحانه وتعالى، أو كلاما، أو تعليما منه، ثم بأنه ينـزل على نبىٍّ أو رسول بوسيلة تحدِّدها مشيئة الله قد تكون وحيا أو تكليما أو بواسطة ملك كما كان من تنزيل القرآن على رسول الله ﷺ بواسطة جبـريل عليه السـلام الذى أعلمـه الله كـلامه على النحـو الـذى شاء سـواء أكان بسمـاع أم باطلاعه على اللوح المحفوظ وحفظه، أو بغير ذلك من الطرق وفق مشيئته سبحانه وتعالى. ثم بأنه يجـرى الإبلاغ به بنى البشـر ممَّن أنزل عليه من نبىٍّ أو رسـول. فيخرج عن الصحف بهذ المعنى كل صحيفة تحمل قـول البشر، وكل صحيفة كان مبتدأ تدوينهـا بأيدى البشر أو

بنتاج عقولهم، حين يعتبر منها كل ما كتب فى المـلأ الأعلى من قول الله وكلامه وتعليمه ولو لم يتم تدوينـه وتصحيفه بعد تنـزيله على من اصطفى الله، فإن كان قـد جرى تدوينه ــ بعد تنزيله ـ بأيـدى البشر، فلا يعتبر من الصحف إلا ما كان نقلا لمـا كتب فى المــلأ الأعلـى، فلا يكون منهـا ما يثبته الكاتبون من علامات تساعد على التلاوة على وجه صحيح، أو على فهم المعانى، وذلك لأنها قول بشر.

٢ـ أنواع الصحف:

تنقسم الصحف ـ بصفتها كلام الله المكتـوب فى الملأ الأعلى، المنزل على من اصطفى من نبى أو رسول لإبلاغه قومه أو العالمين ـ عدة أقسام على النحو الآتى.

٢ـ١ـ أولا: من حيث التسمية: (الصحف ،و الكتب،والزبر) :

اختصَّ الله ـ من الصحف ــ أنواعـا بعينها فسمَّاهـا كتبا، وهى بعض مـا أنزل من صحف على رسله موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه، فلا يطلق اسم «الكتاب» على غيرهـا ممَّا أنزل على غيـرهم من الأنبياء والـرسل، كما أنه لا يطلق إلا على مـا اختصه الله بهـذا الاسم من بين مـا أنـزل من صحف على هـؤلاء الـرسل الثـلاثـة صلـوات الله عليهم وسلامه.

ثم إنه سبحـانه وتعالى اختص كل كتـاب من هذه الكتب الثـلاثة باسم خـاص به فسمَّى الكتـاب الـذى أنزل على مـوسى عليـه السـلام «التـوراة»، وسمَّى الكتاب الـذى أنـزل على المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام «الإنجيل»، وسمَّى الكتاب الذى أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام «القرآن». والمعنى أنه إذا ماورد الخطاب متعلقا بالكتب فإنه لا يعنى سوى الكتب التى أنـزلت على هؤلاء الـرسل الثلاثـة صلوات الله عليهم وسـلامه التى اختصهـا الله باسم الكتب من بين ما أنزل إليهم من الصحف. فتكـون «الصحف» بمثابة الأصل، وتكون الكتب فـرعا من الأصل، ثـم اختص سبحانـه وتعـالى كل كتاب بـاسم خـاص به فكـان: التوراة، والإنجيل، والقرآن، كل منها بمثابة الغصن من الفرع الذى هو الكتب. ويبين قصر التسمية الخـاصة بكل كتـاب من هذه الكتب على بعض ما أنـزل من صحف على رسل الله



الثلاثة عليهم صلوات الله وسلامه من ملاحظة أن النص القرآنى يتكلم عن صحف موسى فى قوله تعالى:

أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾

[النجم: ٣٦و٣٧].

كما أنه يتكلم عن كتاب موسى فى قوله تعالى:

قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ

[الأنعام: ٩١]

ويتكلم عنه باسمه الخاص به (التوراة) فى قوله تعالى:

إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ

[المائدة: ٤٤]

فدلَّ بذلك على أن هناك صحفا كما أن هناك كتبا.

كذلك يتكلم النص القرآنى عن الإنجيل كتاب الله الذى أنزله على المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بقوله تعالى:

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ

[الحديد: ٢٧]

ويتكلم عما أنزل مضافا إلى التوراة وإلى الإنجيل فى قوله تعالى:

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ

[المائدة: ٦٨]

ويتكلم عن الحكمة التى علَّمها الله المسيح عليه السلام إضافة إلى تعليمه الإنجيل

في قوله تعالى :

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٨] .

فدلَّ بذلك على أن هناك صحفا أنزلت على المسيح عليه السلام تضمنت «الحكمة» إلى جانب الصحف التى اختصت باسم «الكتاب» ثم تعيَّنت من بين الكتب باسم «الإنجيل» .

ويتكلم النص القرآنى عن القرآن الكريم المنزل على رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

ويتكلم عن الحكمة يعلمها رسول الله ﷺ المؤمنين فى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

فدلَّ بذلك على أن هناك الكتاب ، وهناك آيات أخرى لله يتلوها الرسول ﷺ ، وهناك الحكمة ، والكتاب هو القرآن العظيم والآيات الأخرى لله هى الأحاديث القدسية التى قالها الرسول ﷺ راويا عن ربه ، والحكمة هى أحاديثه عليه الصلاة والسلام وهى ما أُلهم به من المعانى التى لم تنزل عليه ألفاظها فعبَّر عنها بألفاظ من عنده .

كذلك اختصَّ الله طائفة أخرى من الصحف باسم «الزُّبُر» أثبت سبحانه وتعالى نزولها على الأولين من الأنبياء أو على بعضهم دون تعيين فى قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٦] .

وفى قوله تعالى :

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ

[فاطر: ٢٥]

وهو مـا يعنى أن الأنبياء السـابقين قد جاءوا أقـوامهم ـ من الله ـ بـآيات دالـة على نبوَّتهم وعلى صـدقهم وهى المعجـزات، كمـا جـاءوهم أو جـاءهم بعضهم بصحف سمَّـاهـا الله بالـزبر، وجـاءهم آخرون بـالكتب، فقد جاء مـوسى بكتاب هـو التوراة، كمـا جاء المسيح بكتاب هو الإنجيل، ومن بين هـذه الزبر عيَّن الله واحدا سمَّاه بهـذا الاسم ومعيِّنا النبى الذى أنزل عليه وهو الزبور الذى أنزل على داود عليه السلام فقال سبحانه وتعالى :

وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ [النساء ١٦٣ والإسراء : ٥٥].

وبيَّن سبحانه وتعالى أن من بين ما أنزل فى الزبور ذكر الله والإخبار بما يكون فقال :

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ

[الأنبياء: ١٠٥].

٢ ـ ٢ ـ ثانيا: من حيث الاستدلال على وجودها:

(بالنص الصريح، أو بالعقل، أو بالأثر):

ورد ذكر بعض الصحف بالنص القـرآنى الصريح فهو دليل وجودها ونـزولها ـ إن لم يكن لهـا وجود اليـوم ولم يقم عليـه دليل من أثر مـادى أو علم في الصـدور ـ وهـو مع وجودهـا المحقق أو مع الأثر المثبت سبق وجـودها أو العلم به دليل هذا الوجـود، ومن هذه صحف إبـراهيم، وصحف موسى وزبـور داود، والتـوراة، والإنجيل، والقرآن. فهـذه الصحف التى بقى لبعضهـا اسم الجنس «الصحف» والتى اختص بعضهـا الآخـر بأسمـاء خاصـة قـد ورد النص القرآنى الصريح بذكرها.

وإلى جانب هذه فإن صحفا أخرى لم يرد بذكرها نص صريح، وإنما يستدل على وجودها وعلى سبق إنزالها بطريق الاستدلال العقلى أو بالاستنتاج من نص قرآنى، ومن هذه الطائفة الصحف التى أنزلت على نوح عليه السلام، فقد ورد قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

[الأعراف: ٥٩]

وورد قوله تعالى فى وصفه إبراهيم عليه السلام:

﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾

[الصافات من: ٧٩ إلى ٨٣].

فإذا كان مفهوما من الآية الأولى أن نوحا عليه السلام قد أبلغ قومه بما كلفه الله أن يبلغهم من أمر بعبادة الله، وعدم الشرك به، ثم إنذارهم سوء عاقبة الكفر، فمنه يبين أن صحفا أنزلت عليه بما أبلغ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نعت إبراهيم عليه السلام ـ فى الآية الثانية ـ بأنه من أتباع نوح أو من شيعته وكان بالنص القرآنى الصريح قد ثبت أن إبراهيم من أصحاب الصحف كما ورد بذلك قوله تعالى:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

[النجم ٣٦ و ٣٧]

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

[الأعلى: ١٨و١٩]

فإنه لابد أن يكـون المتبوع أو المتشيَّع له من أصحاب الصحف مـادام المتشيِّع من أصحابها بدليل النص، فتكون هناك صحف قد أنزلت على نـوح عليه السلام، ويكون ثبوت وجودها بطريق الاستدلال العقلى. ومنها أيضا الصحف التـى أنزلت على شعيب عليه السلام، فهذه لم يرَد بشأنها نص قرآنى صريح، وإنما ورد قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥].

فالمستفاد معنًى مـن هذا النص القرآنى أن شعيبا قـد أبلغ ما أنزل إليه من ربـه، وأنه عليه السلام قال لقومـه «قد جاءتكم بيِّنة من ربكم» ولما كان القرآن الكـريم قد فسَّر معنى «البينة» بأنه «رسول من الله يتلو صحفا مطهرة» وذلك فى قوله تعالى:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾

[البينة: ١و ٢].

فإنه لما كان الثابت هو أن شعيبا عليه السلام رسول من الله وأنه أعلن قومه بالبينة التى هى صحف مطهرة منزلـة على رسول من رسل الله، فإنه يكون مستدلا بطـريق العقل على إنه إنما كان يتلو صحفا مطهرة تضمَّنت ما أبلغ قومه مبشرا ومنذرا.

وقد يكون من هذه الصحف أيضا الأحاديث القـدسية التى رواها رسول الله ﷺ ـ وإن كان وجودها دليلا ماديا على نزولها من عند الله ـ، فقد ورد قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾

[الحاقة من ٤٠ إلى ٤٦].

والمعنى أن كل قول لرسول الله نسبه إلى الله هو قول صحيح فى نسبته إلى الله وفى مضمونه ومن هذه الأقوال الأحاديث القدسية ـ كذلك ورد قوله تعالى فى وصف رسوله عليه الصلاة والسلام :

﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾﴾

[البينة : ٢و٣].

فأثبت أن كل ما يتلو الرسول عن ربه هو من قبيل الصحف ، ووصفها سبحانه وتعالى بأنها «مطهرة» لأنه طهر ماجاء فيها ـ مما سبق وروده فى صحف الأولين ـ مما علق به من أوشاب تضمنت الحذف والتبديل والإضافة ، ويبين من النص القرآنى أن هذه الصحف التى أنزلت على رسول الله ﷺ تتضمن القرآن وتتضمن غيره الذى قد يكون «الأحاديث القدسية» وذلك لقوله تعالى :

﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾﴾

[البينة : ٣].

فالكتب القيمة هى القرآن العظيم ، وورد ذكره باستعمال صيغة الجمع «الكتب» لأنه جمع ما سبق نزوله من الكتب وهيمن عليها فهو كتاب المؤمنين الذين كان مبتدأ إيمانهم بكتاب إيمانهم بالقرآن وهم أهل الجزيرة العربية من غير أهل الكتاب ، وهو كتاب المؤمنين من أهل الكتاب الذين يقول فيهم المولى سبحانه وتعالى :

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾

[النساء: ١٦٢].

ويقول فيهم:

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾

[آل عمران: ١١٣-١١٤]

ويقول فيهم أيضا: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾

[آل عمران: ١٩٩].

ويبين اشتمال الصحف المنزلة على رسول الله ﷺ على القرآن العظيم وعلى غيره من ورود لفظ «فيها» في النص القرآني عند بيان مشتملات هذه الصحف، فقال سبحانه وتعالى:

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾

[البينة: ٣].

وهو ما يعني أن الكتب القيمة هي بعض ما فيها، أو إنها تحوي هذه الكتب القيمة وتحوي غيرها، فلما كان المقصود بالكتب القيمة هو القرآن العظيم، فإن غيرها قد يكون الأحاديث القدسية.

كذلك فإن من الصحف ما استدل على وجوده من أثر أو آثار مما ترك الأقدمون، ومن

ذلك الاستدلال على وجود صحف أنزلت على إدريس عليه السلام من بعض الآثار التى تركها قدماء المصريين فى عصور متناهية القدم [1] على ما سيأتى تفصيله فيما بعد.

٢-٣-ثالثا: من حيث تعيين الرسول الذى أنزلت عليه:

عيَّن النص القرآنى بعض أصحاب الصحف من الأنبياء والرسل، فكان العلم بشخص النبى أو الرسول الذى أنزلت عليه مستمدا من النص، حين جاء ذكر الصحف فى نصوص قرآنية أخرى دون تعيين أصحابها أو من أنزلت عليهم. فمن الصحف التى عيَّن النص القرآنى أصحابها أو من أنزلت عليهم المثانى والقرآن فأوضح أنه رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾

[الحجر: ٨٧]

ومنها الإنجيل فقد ذكر النص القرآنى أنه أنزل على المسيح عيسى ابن مريم بقوله تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

[المائدة: ٤٦].

ومنها التوراة فقد عين النص القرآنى النبى الذى أنزلت عليه موسى عليه السلام بقوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى﴾

[الأنعام: ٩١].

كذلك عيَّن النص القرآنى - من أصحاب الصحف - إبراهيم وموسى عليهما السلام بقوله تعالى:

---

(١) انظر فى تفصيل هذا البند رقم ٨، ص ٣٥ وما بعدها، تحت عنوان «الدليل على توجه إدريس بدعوته للمصريين».

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

[الأعلى: ١٨و١٩].

وعيَّن من أنزل عليه الزبور داود عليه السلام بقوله تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥﴾ [النساء ١٦٣ والإسراء: ٥٥].

ويلاحظ أن من هؤلاء الرسل من هو صاحب كتاب ومنهم من ليس من أصحاب الكتب، فكل من رسل الله محمد وعيسى وموسى عليهم صلوات الله وسلامه صاحب كتاب، أما إبراهيم وداود عليهما الصلاة والسلام فليس لأى منهما كتاب.

وإلى جانب الصحف التى عيَّن النص القرآنى أصحابها أو من أنزلت عليهم من الأنبياء والرسل هناك صحف لم يعيِّن النص أصحابها أو من أنزلت عليهم رغم الاستدلال على وجودها من النص، فقد ورد قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦].

بما يعنى أن ماورد فى القرآن العظيم من أمور العقيدة والدين قد ورد من قبل فى صحف أنزلت على الأنبياء المعتبرين من الأولين، فيكون النص قد أثبت وجود صحف أنزلت من قبل على الأولين من الأنبياء، لكنه لم يعيِّن أحد هؤلاء الأنبياء السابقين الذين أنزلت عليهم هذه الصحف، فتكون الصحف مما لم يعيِّن النص أصحابها. كذلك ورد قوله تعالى:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥﴾

[فاطر: ٢٥]

وهو ما يعنى أن من سبق رسول الله ﷺ من الرسل قد أتوا أقوامهم بآيات وبراهين دالة على صدقهم، وأن منهم من أتى بكتاب منير ـ ولم يأت بكتاب من قبل سوى موسى وعيسى عليهما السلام ـ وأنهم أتوا أقوامهم بصحف هى الزبر، فالنص القرآنى يثبت نزول صحف

على أنبياء ورسل قبل بعثته عليه الصلاة والسلام، لكنه لا يعيِّن أحدا منهم، فتكون هذه الصحف مما لم يعيَّن أصحابها أو من أنزلت عليهم من الأنبياء والرسل.

٣ـ الكتب:

ويقصد بها ـ في هذا المقام ـ الصحف التى اختصها الله باسم «الكتب» من بين ما أنزل على الأنبياء والرسل، فهى الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام، والكتاب الذى أنزل على المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، والكتاب الذى أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى ماسبق بيانه فإنه سبحانه وتعالى خصَّ كل كتاب منها باسم أو أسماء أشهرها هى التوراة اسم الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل اسم الكتاب الذى أنزل على المسيح عليه السلام، والقرآن اسم الكتاب الذى أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام. ويلاحظ فى شأنها الآتى:

٣ـ١ـ الكتاب هو القرآن العظيم:

يقول الحق سبحانه و تعالى:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢].

ويجوز الوقوف ـ لدى التلاوة ـ على «ريب» أو على «فيه». فإذا كان الوقوف على «ريب» فإن المعنى يكون إن ذلك القرآن هو الكتاب الكامل الحقيق بأن يخص به اسم «الكتاب» وذلك لكونه الأكمل بين أفراد الجنس أى بين الكتب. ويؤكد هذا المعنى الإشارة إليه باسم الإشارة «ذلك» وهو يفيد ـ فى الأصل ـ البعد الحقيقى أو بعد المسافة، فجاء استعماله للتعبير عن بعد الرتبة وسموِّها كما ورد استعماله فى قوله تعالى:

﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]

قالته امرأة العزيز وهى تشير إلى يوسف عليه السلام على قربه منها وممن معها وذلك للتدليل على بعد رتبته وسموها، وجاء القول «لا ريب» ليفيد معنى القطع بأن القرآن يكون

المعنيّ بلفظ «الكتاب» إذا ورد مطلقا ولم يظهر من سياق المعنى أن المقصود هو أحد الكتابين الآخرين أو هما معا.

٢-٢- الكتاب هو توراة موسى:

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾

[البقرة: ٨٧].

فالنص القرآني يصف توراة موسى بأنها الكتاب، وذلك حق لأنها إنما كانت – من الصحف – أول ما سمي «بالكتب»، ولما كانت توراة موسى وقت أن اتاها الله موسى عليه السلام هي وحدها الكتاب وصفها سبحانه وتعالى بأنها الكتاب..

٢-٣- الكتاب هو التوراة والإنجيل:

يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾

[آل عمران: ٣و٤].

والمعنى أن النص القرآني وصف القرآن بأنه الكتاب، ثم أردف هذا بإثبات أن التوراة والإنجيل – من قبل – كتاب. ذلك أنه كانت توراة موسى هي الكتاب وقت إنزالها بما تضمنته من أمور العقيدة وما تضمّنته من أحكام تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض وعلاقات الحاكم بالمحكومين وغيرها من العلاقات، ثم آتى اللهُ الإنجيلَ عيسى عليه السلام متضمنا أمور العقيدة وقواعد الأخلاق داعيا إلى إعمال أحكام التوراة فكان تجديدا لها مصححا ما اعوج من سلوك المؤمنين بها استنادا إلى تحريف الكهنة الكلم عن مواضعه، فكان الإنجيل والتوراة وقتذاك هما الكتاب. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾

[المائدة: ٦٨]

فالنـص القرآنى يأمـر أهل الكتاب بالعمـل بأحكام التـوراة والإنجيل، ذلك أنه لمـا كان الإيمان الصحيح بالتوراة مستوجبا التصديق بـالمسيح عليه السلام، وكان التصديق بالمسيح عليه السلام مستوجبا الإيمان بالإنجيل الـذى أنزل إليه، فإن كتاب أهل الكتاب يكون التوراة والإنجيل.

٣-٤-الكتاب هو التوراة والقرآن:

يقول سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩٢﴾

[الأنعام: ٩١و٩٢].

فالنص القرآنى قد وصف توراة موسى بأنها كتاب، ووصف القرآن العظيم بأنه كتاب، ثم أوضح ما أحدث أصحاب الأهواء ممَّن ادعوا الإيمـان بتوراة موسى من تحريف ومن حذف، ثم بيَّن أن القرآن العظيم قد جاء مصدقا بكتاب مـوسى، وإيراد النص لفظ «مصدقا» له دلالة تفيـد أن ما أبقى عليـه القرآن من أحكـام توراة مـوسى إنمـا كان للصحيح منهـا مثل شريعـة القصاص فقد ورد قوله تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾

[المائدة: ٤٥]

ثم أتبع ذلك ببيان حكم الإنجيل ـ الذى يوجب إعمال حكم التوراة ـ بقوله تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)﴾

[المائدة: ٤٦و ٤٧].

ثم أشار النص القرآنى إلى أخذ الإسلام بشريعة القصاص وإقرارها بالقرآن بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾

[المائدة: ٤٨].

وعلى هذا يكـون الكتاب ـ فيمـا أبقى عليه القرآن العظيم من أحكـام التوراة ـ هـو التوراة والقرآن. مع اختصاص كل منهما باسم «الكتاب».



٤ـ تصديق كتاب بكتاب لا يمنع من نسخ بعض أحكامه:

يُقصد «بتصديق كتاب بكتاب» أحد أمرين أو هما معا، فقد يقصد به نزول الكتاب اللاحق حسبما جاء ذكره أو وصفه فى الكتاب السابق، فيكون نزول الكتاب اللاحق تصديقا بالكتاب السابق، وقد يقصد به نزول الكتاب اللاحق مطابقا الكتاب السابق فى أصل الدين، أى فيما يتعلق بأحكام العقيدة وهى أمور الإيمان المتمثلة فى الإيمان بالله، وعدم الشرك به[1]، وهذه أمور لا يتصور أن يكون بين الكتب المنزلة من الله بشأنها خلاف؛ ولهذا كان الإنجيل مصدقا بالتوراة لأنه لم يشتمل إلا على مسائل العقيدة وبعض المواعظ والزواجر، ولقد كان المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يتعبد وفق ماجاءت به التوراة من أحكام العبادات، ولهذا أيضا كان القرآن مصدقا بالتوراة وبالإنجيل، وتصديقه بهما مرجعه أنه نزل حسبما جاء وصفه فى كل منهما [2]، وأنه نزل مطابقا ما جاء فى كل منهما متعلقا بالعقيدة من حيث الإيمان بالله، وتوحيده وعدم الشرك به.

أما النسخ فيقصد به إبطال الكتاب اللاحق العمل ببعض أحكام الكتاب السابق أو بها كلها أو استبدال غيرها بها أو ببعضها، أو إبطال العمل بها ـ كحكم عام ـ مع النص على العمل ببعض أحكامها استثناء أو نفاذا لنص الكتاب اللاحق. وفى شأن النسخ يلاحظ الآتى:

١ ـ إن نطاق النسخ أو مجاله هو أحكام الشريعة، فلا يتصور النسخ فى أحكام العقيدة على ما سبق القول. فيتصور أن يكون فى مجال المعاملات، ومجال التجريم والعقاب، ومجال العلاقات بين المجتمعات، وذلك لأن هذه الأحكام تعتبر من قبيل التشريع الذى يفترض فيه أن يكون مناسبا ظروف المجتمعات البشرية التى تختلف باختلاف الزمان والمكان، وطبيعة البشر وعاداتهم وأعرافهم، ذلك أنه لمَّا كانت الغاية من التشريع هى

---

(١) يلحق البعض بأحكام العقيدة القصص، وبعض المأمور به من كريم السلوك والفعال مثل الصدق والأمانة، وبعض المنهى عنه من خبيث السلوك والفعال مثل الكذب والزنا باعتبارها مما يوافق الجبلة السوية.

(٢) سيأتى بيان ذلك مفصلا عند بيان الإسلام فى كل من التوراة والإنجيل.

تحقيق المصلحة وكانت هذه المصلحة متغيرة بطبيعتها بتغيُّر العصر والزمان فقد كان طبيعيا أن يقع فى أحكام التشريع تبديل وتغيير أى أن يكون هناك نسخ.

٢ ـ إنه ليس ثمة نسخ من الإنجيل لأحكام التوراة ولامن القرآن لأحكام الإنجيل. ذلك أن الإنجيل ـ كما سبق القول ـ لم يتضمن سوى أحكام العقيدة وهذه لا يتصور فيها نسخ، أما أحكام الشريعة فلم يتضمن الإنجيل منها شيئا، بل إن المسيح عليه السلام أثبت قولا أنه لم يأت لنسخ حكم من أحكام التوراة، فقد ورد فى إنجيل متَّى قوله عليه السلام: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل». (متَّى: الإصحاح الخامس، ١٧). وورد فيه قوله أيضا: «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون» (متَّى: الإصحاح الثالث والعشرون: ٢و٣). كذلك أثبت القرآن العظيم أن المسيح عليه السلام قد ذكر أنه جاء مصدقا بالتوراة ولم يذكر أنه جاء لنسخ أحكامها بقوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ

[الصف: ٦].

وعلى هذا يجب أن يفهم إن رسالة المسيح عليه السلام ـ فيما يتعلق بأحكام شريعة موسى ـ قد تمثلت فى أمرين: أولهما تنقيتها مما لحق بها من تبديل وتغيير حدث لدى تدوينها بمعرفة علمائهم ـ الذين عاشوا فى بابل بعد السبى وخراب بيت المقدس وضياع التوراة المدونة الذى حدث سنة ٥٥٨ قبل الميلاد ـ فجاء المسيح عليه السلام الذى علمه الله الكتاب ليبيِّن لهم صحيحها وليفسر نصوصها التفسير الصحيح الذى لا يشوبه دنس التأويل المغرض الخاضع للأهواء، ومن ذلك مثلا أنه ورد فى التوراة فى شأن يوم الراحة: «ستة أيام تعمل، وأما اليوم السابع فتستريح فيه، فى الفلاحة والحصاد تستريح (سفر الخروج: الإصحاح الرابع والثلاثون: ٢١). وكان علماء بنى إسرائيل قد أولوا النص فحرموا فى يوم

الراحة السبت مباشرة أى عمل مهما كان صغيرا و إن دعت إليه ضرورة، فأوضح لهم المسيح عليه السلام فساد هذا التأويل، وأعلمهم أن العمل المحرَّم مباشرته يوم الراحة هو العمل من أعمال الفلاحة المعتادة من زراعة وحصاد، وأنه لدى الضرورة يباح مثل هذا العمل، فقد جاء فى إنجيل مرقس: «واجتاز فى السبت بين الزروع فابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون، فقال له الفريسيون انظر، لماذا يفعلون فى السبت ما لا يحل ، فقال لهم أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله فى أيام أبيأثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله إلا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضا. ثم قال لهم السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت» (مرقس: الإصحاح الثانى: من ٢٣ إلى ٢٦ . أما الأمر الثانى فهو الدعوة إلى تطبيقها و إنزال أحكامها على ما يحدث من واقعات، ولما كان من مقتضى العمل بها على وجهها الصحيح استبعاد تطبيق ماوضع رجال الدين من قواعد اتسمت بالتشدد الذى بلغ درجة مخالفة حكم الشريعة فكان تحريمهم ما أحل الله فإن المسيح بعمله على تطبيق الشريعة على وجهها الصحيح أحلَّ ما حرَّمه رجال الدين مما لم يحرمه الله، وفى هذا يذكر المولى سبحانه وتعالى قول المسيح عليه السلام:

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾

[آل عمران: ٥٠]

وقد ورد الفعل «حُرِّم» فى صيغة المبنى للمجهول للتدليل على أن فاعل التحريم أو مقرره غير الله، وجاء لفظ «بعض» لبيان الفرق بين ما حرَّمه غير الله وحكمه الحِلُّ، وبين ما حرَّمه الله وحكمه التحريم .

و إذا كان المحقق أن الإنجيل لم يأت بأحكام تتعلق بالشريعة ـ وفيها وحدها يتصور النسخ ـــ فإنه لا يتصور أن يكون الإنجيل قد نسخ التوراة ولا أن يكون القرآن قد نسخ الإنجيل .

٣ ـ النسخ واقع من القرآن للتوراة كما وقع من التوراة لشريعة نوح . بيان ذلك أن وقوع

النسخ من التوراة لشريعة نوح ثابت من نصوص التوراة ومن النص القرآني، فقد كانت جميع صنوف الكائنات الحية من حيوان وطير ودواب الأرض وزواحفها وما يعيش فى الماء حلالا أكلها فى شريعة نوح عليه السلام، إلا أن يعقوب نبى الله عليه السلام حرَّم على نفسه أكل «عرق النسا» فى فخذ البهائم، ثم أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام فحرم فيها أكل أنواع كثيرة من الحيوان والطير منها الجمل والأرنب والنسر والغراب، كما حرم فيها الميتة والدم ولحم الخنزير، فكان حكم التوراة ناسخا فى هذا الشأن حكم شريعة نوح عليه السلام، فقد جاء - فى التدليل على أن كل كائنات البر والبحر كان حلالا أكلها - فى سفر التكوين من التوراة: «ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء. مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم، كل دابة حية تكون لكم طعاما. (تكوين: الإصحاح التاسع: ٢و٣). وجاء فى ذات الشأن فى القرآن العظيم قوله تعالى:

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾

[آل عمران: ٩٣].

ثم ورد تحريم أكل بعض ما كان مباحا أكله، فقد جاء فى التوراة: «وكلم الرب موسى وهارون قائلا لهما كلما بنى إسرائيل قائلين هذه هى الحيوانات التى تأكلونها من جميع البهائم التى على الأرض، كل ما شق ظلفا وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون، إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم، والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم، والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم،والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم» (سفرلاويين: الإصحاح الحادى عشر: من١ إلى ٧). كذلك يبين القرآن العظيم أن التوراة قد حرمت أكل بعض ما كان حلالا أكله فى شريعة نوح عليه السلام كما يبين من قوله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۢ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ﴾

[الأنعام: ١٤٦].

والمعنى أن التوراة قد نسخت بعض أحكام شريعة نوح.

كذلك الحال فيما بين القرآن العظيم والتوراة فقد جاء القرآن العظيم بأحكام تخالف بعض أحكام التوراة مما يعتبر نسخا لها، ومن ذلك أنه أباح أكل بعض ما حرمت التوراة أكله من الحيوان مثل الأرنب والجمل وذلك بتقريره أن القاعدة هى الحِلُّ وأن التحريم لا يكون الا بنصٍّ، وعدم ورود نص فى شأن الأرنب والجمل وكثير غيرهما مما كان محرما أكله فى التوراة، وذلك على ما يبين من قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍۢ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍۢ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ﴾

[الأنعام: ١٤٥].

ومن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ﴾

[المائدة: ٣]

٤ ـ إنه لا تناقض بين نسخ الشريعة اللاحقة بعض أحكام الشريعة السابقة وبين إقرارها بعض أحكامها أو النص عليها وسبب ذلك ـ على ما سبق القول ـ إن أحكام الشريعة تنظم العلاقات بين الأفراد بعضهم والبعض، وبين أفراد المجتمع من جهة والمجتمع من جهة أخرى، وبين المجتمعات البشرية بعضها والبعض، وجميعها مسائل عرضة للتأثر بظروف

الزمان والمكان وطبيعة البشر والأعراف السائدة مما مقتضاه قبول حصول النسخ بين الشرائع باعتباره أمرا لازما لتحقيق الغاية من الشريعة وهى تحقيق المصالح. غير أن الإقرار بهذا الواقع لا يمنع من تقرير واقع آخر وهو أن بعض أحكام الشريعة يستند إلى فطرة الإنسان التى جبل عليها، ولما كان الله سبحانه وتعالى هو الشارع والمشرع وكان هو الأعلم بمن خلق فإنه يفترض - فيما وضع من أحكام توافق فطرة الإنسان وجبلته التى لا تتغير بتغير الزمان والعصور - أن تكون أحكامه جامدة لا ينالها تعديل ولا تبديل أو تغيير فلا يكون بشأنها نسخ. ومن هذا إبقاء شريعة الإسلام على ما جاء فى شريعة موسى فى شأن القصاص، فقد ورد قوله تعالى فى بيان أن القصاص هو حكمه فى جرائم الاعتداء العمدى على الأشخاص فى جميع شرائعه بقوله تعالى:

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ

[المائدة: ٤٥]

وهو ما يعنى أن القصاص كان حكم التوراة، ثم أوضح سبحانه وتعالى أنه على أهل الإنجيل أن يحكموا بأحكام القصاص بقوله تعالى:

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

[المائدة: ٤٧].

ولما كان ما أنزل الله فى الإنجيل فى شأن أحكام الشريعة هو إعمال شريعة موسى وتطبيقها وكان من أحكامها «القصاص» فإنه يكون حكم الإنجيل. ثم بيّن سبحانه وتعالى أن القرآن مصدق بأحكام التوراة وأنه مهيمن عليها، ومن نتائج ذلك أنه بحكم تصديقه بها فإنه يصدّق بأحكام «القصاص»، وأنه بحكم هيمنته عليها يكون له أن ينسخ من أحكامها ما

ينسخ، فلما كـان الثابت أنه لم ينسخ أحكام القصـاص فإنها تكون من أحكام القـرآن وهذا على ما يبين من قوله تعالى:

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا [المائدة: ٤٨].

ثم إنه سبحانه وتعالى قرر بالنص على حكم القصاص إنه حكم شريعة الإسلام فقال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى

[البقرة: ١٧٨]

وقال: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

[البقرة: ١٧٩].

ومعنى هـذا أن تطبيق أحكـام القصـاص لم يعـد إعمالا لنصـوص التـوراة، بل إعمـالا للنـص القـرآنـى وتطبيقـا له.

٥ـ التعريف بالإسلام، وبمعانيه:

الإسلام ــ فى الأصل ـ هو الطـاعة والانقياد، فهـو طاعة الله وإسـلام الوجه لله والـرضاء بحكمه، ومقتضـاه الإيمان بـالله، وعدم الشـرك به، وبهـذا المعنى جاز أن يكـون هناك إسلام قبل بعثة رسـول الله محمد ﷺ وأن يكون مسلمون. دليل ذلك أن إبـراهيم عليه السلام دعا ربه أن يجعله و إسماعيل مُسْلِمَيْنِ كما جاء بقوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

[البقرة: ١٢٧ :١٢٨]

وأنه سبحانه وتعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يسلم فانصاع إبراهيم للأمر وأعلن إسلامه وذلك على مايبين من قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

[البقرة: ١٣١].

وأن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام وصّيا أبناءهما ـ أو أن إبراهيم وصّى بنيه وحفيده عليهم السلام-ألا يموتوا إلا وهم مسلمون موضِّحَيْن لهم أن الإسلام هو الدين الذى اصطفى الله لهم، وذلك على مايبين من قوله تعالى:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

[البقرة: ١٣٢].

ثم أوضح المولى سبحانه وتعالى أن الإسلام ـ بهذا المعنى ـ هو الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به وطاعته والانقياد له والتسليم له وذلك بقوله تعالى:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

[البقرة: ١٣٣].

والإسلام بهذا المعنى هو الملة الكبرى وهى ملة إبراهيم عليه السلام كما يبين من قوله تعالى :

وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

[الحج : ٧٨].

والإسلام بهذا المعنى هو الحنيفية فقد ورد قوله تعالى :

مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾

[آل عمران: ٦٧] .

فبيَّن أن الإسلام بهذا المعنى هو الحنيفية . ويبين من نص الآية ٧٨ من سورة الحج الذى قرن الملة أو الإيمان بالله وتوحيده بإقام الصلاة و إيتاء الزكاة أن من موجبات الإيمان العبادة والإحسان وهذه تعتبر من قبيل الطريق الموصل إلى الملة فهى المنهاج والسبيل ؛ ولهذا جاز أن تتغير أشكالها وصورها باختلاف العصور والأماكن . والإسلام بهذا المعنى وهو الحنيفية هو مبدأ كمال الدين يتبعه الإيمان ولهذا جاء قوله :

۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا

[الحجرات : ١٤].

وقرينه الإحسان كما يبين من قوله تعالى :

بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ

[البقرة: ١١٢].

أما الإيمان فيأتى بعد ذلك ويعنى التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مع الإقرار بأن القدر خيره وشره من الله وأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فإذا جمع المرء بين الإسلام والتصديق كان على درجة كمال الدين.

وكمال الدين - منذ بعثة رسول الله ﷺ - هو الإسلام بالمعنى الخاص أو هو «دين الإسلام» وذلك على ما يستفاد من الخبر المعروف فى دعوة جبريل عليه السلام إذ جاء على هيئة أعرابى ملصقا ركبتيه بركبتى النبى ﷺ وقال «يا رسول الله ما الإسلام» ؟ فقال: «أن تشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا». قال: «صدقت». ثم قال: «ما الإيمان؟»، قال عليه الصلاة والسلام: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره. قال: «صدقت»، ثم قال: «ما الإحسان؟» قال عليه الصلاة والسلام: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال صدقت، ثم قال: «متى الساعة؟» قال عليه الصلاة والسلام: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، ثم قام وخرج فقال النبى ﷺ: «هذا جبريل يعلمكم أمر دينكم». والإسلام بهذا المعنى يتضمن أحكام الشريعة فهو دين، والدين عقيدة وشريعة على ما يبين من قوله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ

[الشورى: ١٣].

وهو كمال الدين على ما يبين من قوله تعالى:

ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا

[المائدة: ٣].

وعلى هذا يمكن القول إن للإسلام معنيين أو مفهومين، أحدهما عام والآخر خاص،

فالإسـلام فى مفهومه العـام هو طاعـة الله والانقياد لـه، وموجباتـه الأساس الإيمان بـوجود الله وتوحيده وهذه هى العقيدة. وصحيح القول إن جميع الأنبيـاء والرسل قد دعوا إلى الإسلام بهذا المعنى أو المفهوم وإن جميع من آمن لهم كانوا مسلمين، وصحيح القول أيضا إن الطريق الموصل إلى الإسلام بهذا المفهوم هـو العبادة، وهذا الطريق هو المنهاج وهو واحد فى كـونه إسلام الوجه لله، مخلف فى أركانـه وشروطه ولهـذا كان متغيـرا بتغير العصور والأزمنـة. ولا يتم الدين إلا باقتران الشريعـة بالإسلام أو بالعقيدة؛ ولهذا يقال إن اليهـودية دين وإن الإسلام دين لأن كلا منهما يجمع بين العقيدة والشريعة حين إن المسيحية أو النصرانية هى تنقية وتصحيح للدين اليهودى وتجـديد له. أمـا الإسلام بالمفهوم الخـاص فهو هذا الـدين الذى دعا إليـه محمد رسول الله ﷺ، وعقيدتـه هى ذات عقيدة التوحيد بـالله وعدم الشرك به التى دعـا إليها جميع الأنبيـاء والرسل، والتى كـان لإبراهيم عليـه السلام ـ بـوحى من الله ـ فضل بيـان ماهـو من طريقها أو منهاجهـا، وهو الدين الذى تحدَّدت أركانـه الخمسة فى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسـول الله، وإقام الصـلاة، وإيتاء الـزكاة، وصيـام شهر رمضـان، وحج البيت لمن استطاع إليـه سبيلا، وهـو الدين الذى تضمَّن شـريعة تنظم أمـور العباد والبـلاد إلى أن تقوم الساعة[1] فحق أن يكون رسوله هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

■●■●■●■

(١) لذلك كـان من أحكام شريعته مـا هوجامد لا يتغيـر ومنها أحكام العبادات وكـان منها ماهو مـرن يقبل التغير بتغير الزمان والمكان والأحوال وهى أحكام المعاملات.

الباب الأول
الإسلام في صحف الأوّلين

٦- تمهيد:

سبق القول إنه كانت هناك صحف أنزلت على أنبياء سبقوا إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام. وقد تكون إشارته سبحانه وتعالى إلى صحف إبراهيم وموسى في قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

[الأعلى: ١٨ و ١٩].

إنما كانت ذكرا لأقدم صحف معروفة أو قام دليل على وجودها دون أن تعني أنها هي الصحف الأولى، ذلك أنه يفهم من قوله تعالى:

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾

[الزخرف: ٦].

أنه كان هناك أنبياء أولون، وهؤلاء الأنبياء قد أبلغوا أقوامهم ما أرسلوا للإبلاغ به مما قد تكون تضمنته صحف، وليس ثمة ما يمنع من أن يكشف مستقبل الأيام عن هذه الصحف، فلقد قال الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾

[النمل: ٩٣]

وقال:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾

[فصلت: ٥٣].

ولما كانت هذه الصحف من آيات الله فإنها قد تكون مما وعد الله سبحانه وتعالى أن نراها أو نرى الدليل على وجودها فى مستقبل الأيام.

ولما كان دليل من الآثار قد قام على وجود صحف إدريس عليه السلام، وكان الثابت بالنص القرآنى أنه كان لكل من إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام صحف، فقد تم تناول صحف الأنبياء الثلاثة ومضامينها فى ثلاثة فصول يتشكل فيها هذا الباب.

●*●*●*●*●

الفصـــــل الأول

فى صحف إدريس عليه السلام

٧- التعريف بإدريس عليه السلام وبقومه:

إدريس نبى من أنبياء الله المذكورين بأسمائهم فى القرآن العظيم فيقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

[مريم: ٥٦، ٥٧].

أما قومه فهم - على الراجح - المصريون القدماء، إذ يقول ابن العبرى فى كتابه «تاريخ مختصر الدول»: إن العرب تسميه إدريس الساكن بصعيد مصر، ويقول ابن جلجل فى كتابه «طبقات الأطباء»: إن أبا معشر قال إن مسكن إدريس كان صعيد مصر، ويذكر ابن أبى أصيبعة فى «عيون الأنباء»: أنه عند العرب إن إدريس مولده بمصر. ولم يؤثر عن أحد من قدامى المؤرخين قول يخالف هذا. أما زمان بعثته فيكاد إجماع مؤرخى العرب ينعقد على أنه كان مبعثه قبل نوح عليه السلام، وأغلبهم على أنه كان جدا أعلى لنوح [١].

٨- الدليل على توجه إدريس بدعوته للمصريين:

أول مايدل على أن إدريس عليه السلام كان نبيا مبعوثا إلى قومه المصريين القدماء هو هذا الإجماع الذى يكاد يكون منعقدا بين مؤرخى العرب، ويكمل هذا دليلا على أنه عليه السلام أنزلت عليه صحف من ربه أبلغ قومه المصريين محتواها ومضامينها أن كلا من الزمخشرى فى كتابه «الكشاف»، والقرطبى فى كتابه «الجامع لأحكام القرآن»، والآلوسى فى

(١) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل: تاريخ أبى الفدا، المجلد الأول، الفصل الأول تحت عنوان: «فى عمود التواريخ القديمة وذكر الأنبياء على الترتيب». ص ٨و ٩.

كتـابه «روح المعـانى» يقول: «إن أشهـر ما نـزل به جبـريل على إدريس ـ نبى المصـريين ـ ثلاثون صحيفة».

ويدعم هذه الآراءالأدله الأثرية ونذكر منها ما يأتى:

(١) ورد فى نصائح الحكيم آنى الـذى وجد ـ بعد زمـان إدريس بمدة طويلة ــ فى عصر الأسرة الثـامنة (٢٢٨٠ ــ ٢٠٥٢ ق. م) قولـه: إذا استشارك أحـد فأشر عليـه بما تقضـى به الكتب المنزلة، فهذا القول يفيد وجود صحف منزلـة قبل زمان هذا الحكيم والإقرار بوجودها من جانب المصريين القدماء.

(٢) إن العديـد من الآثار الموجـودة فى مصر ممـا يعود تاريخهـا إلى العصور الفرعـونية تثبت أن قدماء المصريين كانوا يرفعون قـدر أوزوريس، وأن جوهر قصته هو الإيمان بالبعث من بعد الموت، ووجـود حساب فى الآخرة يُسأل فيه المـرء بموجب حسناته وسيئـاته، وفيه يكـون الميزان ليكـون النعيم أو الجحيم. وإذا كان لا يبعـد أن يكون أوزوريس هـو إدريس عليه السـلام فإنه إن لم يكن هو فإن هـذه الأفكار لابد أن تكون قـول نبى فى الأصل فيبعد أن تكون نتاج تطور فكر أو عقيدة دون إرشاد أو هدى من الله عن طريق نبى.

(٣) إن الأثر المعـروف باسم «متون الأهرام» وهـو صحيفة من البردى جرى تـدوينها قبل عصر الأسـرات بفترة زمنية طـويلة خلال مـا يعرف «بعصر المعـادن» الذى امتد مـا بين عام ٨٠٠٠ وعـام ٦٠٠٠ قبل الميلاد يبيِّن أن من سكنـوا مناطق البـدارى ونقادة وجـرزة ومرمـدة والمعادى الحالية فى مصر فى ذلك العصر القديم إنما كانوا من الموحدين الذين يؤمنون بإله خالق واحـد لا يمكن معرفـة اسمه لأنـه فوق مـدارك العقول [١]، وقـد وصفوا الله فى هـذه الصحيفة بأنه السيد المطلق الذى لا نهاية له ولا حد.

(٤) إنه يستفـاد من لفظ «العلم» فى لغة قـدماء المصـريين أن مصدره السمـاء نزل على رسل وحفظ مدونا فى صحف دليل ذلك الآتى [٢]:

---

(١) الدكتور نسيم السيار: «قدماء المصريين أول الموحدين»، ط٢، ج١، وفيه يقول: إن المقصود هنا هو الاسم الأعظم الذى يعتبر من الأسرار الكبرى. ص ١٧٩، هامش ١.

(٢) انظر فى تفصيل هذا الدكتور نسيم السيار، المرجع السابق، ص ١٩٦.

(أ) إن لفظ «علم» فى اللغة المصرية القديمة هو «صباو»، المشتق من «صبا» ومعناه فيها «الهداية» أو الفعل «يهدى أو يرشد»، ويبين من الآثار أن المصريين القدماء ــ لدى تدوينهم لفظ «صبا» بمعنى العلم ـ قد أضافوا إلى حروفه علامة مفسرة هى صورة أو رسم لإنسان رافع يديه إلى السماء ضارعا أو متعبدا، وهى إشارة إلى أن مصدر العلم هو الله الذى يُعبد أو إلى أنه إنما نزل من السماء.

(ب) إنه من لفظ «صبا» فى اللغة المصرية القديمة استمد لفظ «صبابيت» ومعناه: تعاليم إلاهية، ولدى كتابة هذا اللفظ يضيف الكاتب إلى حروفه رسما هو شكل صحيفة من البردى ملفوفة ومربوطة برباط، وهو ما قد يعنى أن هذه التعاليم محفوظة فى صحيفة مقدسة لأنها إنما نزلت من السماء.

٩ ـ الإسلام فى صحف إدريس:

٩ ـ ١ ــ أولا: فى شأن عقيدة «الخلق»: نجد المصريين القدماء فى الأشمونين قد ترسخ لديهم أنه فى البداية لم يكن سوى اللاوجود الذى تخيلوه متمثلا فى «المياه الأزلية» يتجسد عليها الإله «نون» الذى أطلقوا عليه اسم «الواحد القديم» ووصفوه بأنه «المبدأ الأول، أو الأصل الأول»، وفى «أون »أو عين شمس كان الإله «أتوم» ومعناه فى اللغة المصرية القديمة «الكامل أو المطلق»، أما صفاته فهى أنه الموجود بذاته « بمعنى أنه الذى كان فى الوجود بنفسه» وأنه «الأزلى» بمعنى أنه الذى لا بداية له ولا انتهاء، وأنه «الأوحد» المتفرد بذاته؛ ولهذا فهو سيد الجميع.

أما عن الخلق فإنه تحقق بالكلمة المقدسة التى استقرت فى القلب ثم نطق بها اللسان فكان منها الخلق [1]. ويستفاد من هذه العقيدة التى تثبتها الآثار المتخلفة من قبل عصر الأسرة الثالثة أى قبل سنة ٢٧٨٠ قبل الميلاد أنه قد وقر فى عقيدة المصريين القدماء ما يأتى:

---

١ ـ انظر فى تفصيل هذا: ياروسلاف تشيرنى، ترجمة الدكتور أحمد قدرى، مراجعة الدكتور محمود ماهر طه: الديانة المصرية القديمة، ط ١ سنة ١٩٩٦، ص ٤٩و ٥٤.

١ ـ إن خلق الكون له بداية. وهذا ما أثبته القرآن العظيم بقوله تعالى:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

[العنكبوت: ٢٠].

٢ ـ إنه في مبدأ الخلق كان عرش الله على الماء، وهو ما يوافق قوله تعالى:

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

[هود: ٧]

٣ ـ إن الله هو الأول، وهو ما يوافق قوله تعالى:

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ

[الحديد: ٣]

وهو سبحانه وتعالى الكامل، الواحد، الذى لم يلد ولم يولد، الأزلى الذى لا بداية له ولا انتهاء، وهذه جميعا من أسماء الله أو صفاته فى القرآن العظيم.

٤ ـ إن الله إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، بما يوافق قوله تعالى:

وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

[البقرة: ١١٧].

فإذا كان من غير المتصور أن تكون هذه العقائد وليدة فكر تطور بذاته، وكان الأقرب للمنطق أنها إنما علَّمها نبيٌّ وكان معلوما أن إدريس عليه السلام كانت بعثته فى مصر، فإنه يكون محققا أن هذه العقيدة القائمة على الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، إنما كانت مما جاء فى صحف إدريس، وهى من الإسلام بمعناه العام الذى هو العقيدة فى دين الإسلام.

٩ ـ ٢ـ ثانيا : في شأن عقيدة البعث : جاء في ترانيم المقدِّمة لكتاب الموتى [١]: طوبى لك أن تسمع الإله قاضي العدل والحق لتسمع ذلك الحكم . . إن قلب أوزوريس بالحقيقة قد وزن ، وروحه وقفت شاهدة عليه . لقد وجد لا تشـوبه شائبة شر، إنه لم يفسد القرابين في المعابد ، إنه لم يأت بالأذى في أعماله ، إنـه لم ينطق بألسنة السوء عندما كان على الأرض ، لقد وجد صادقا عند وضعه على الميزان العظيم . [٢]ويستفاد من هذا النص الآتي :

١ ـ إن المصريين القدمـاء آمنوا بيوم حساب فيه يحاسب الميت بعـد قيامه على ما عمل من عمل في دنياه .

٢ـ إن المحسنين في الدنيا يرون الله في الآخرة وهذا لا يكون إلا للمخلصين .

٣ـ إن الله هو الحق والعـدل يكون حسابه بوزن سيئات المـرء ووزن حسناته ، وإن جوارح المرء ونفسه يشهدان عليه فيما ارتكب من آثام .

٤ ـ إن الأعمال بالنيات والنية محلها القلب فمن فسد قلبه لم يفده عمله ، ومن صلح قلبه لم يضره عمله .

٥ ـ إن إيذاء الغيـر بالفعل أو بـالقول شـر يعـاقب عليه في الآخـرة ، والصدق في القـول والعمل من الإيمان .

وجاء في ذات الترانيم أيضا قـول الحكيم آني : «لتنظر، إني في حضرتك أيا رب ، ليست هناك خطيئـة عالقة بي ، لم أقل كذبـا أدريه ولا فعلت شيئا بقلب غـاش ، لتمنحني أن أكون مقربا كثيرا للإله المحبوب العظيم سيد العالم ، الذي أحبه بصدق الكاتب الملكي آني المبرأ أمام الله» . وهذه الترنيمة تبين أن قـائلها يعلم أن الكذب رذيلة منهي عنها ، وأن الفعل الطيب لا ينفع صـاحبه إلا إذا أتاه بقلـب سليم ونية صـادقة ، وأنـه يرجو ربـه أن يكون مـع الشهداء والصـدِّيقين وحسن أولئك رفيقا في مقعـد صدق عنـد مليك مقتدر أحبـه المتضرع إلى ربـه

---

(١) تضمنت كتاب الموتى بردية تعرف باسم بردية «آني» الكاتب وهي محفوظة في المتحف البريطاني تتضمن فصول كتاب الموتى. ترجمها عالم المصريات والس بدج ، ونشرها لأول مرة سنة ١٨٩٥ وتقوم بطبعها حتى اليوم دار دوفر للنشر.

(٢) السير/ والس بدج : كتاب الموتى الفرعوني ، ترجمة الدكتور فيليب عطية ، ط ١ سنة ١٩٨٨ ، ص ١٤ .

فوصفه بأنه محبوبه وبأنه سيد العالم. ولا شك أن عقيدة مثل هذه لا تختلف عن عقيدة الإسلام في شيء، كما أنه ليس ثمة شك أن مصدرها دعوة نبي هو على الغالب إدريس عليه السلام فتكون مما تضمنته صحفه.

٩-٣ - ثالثا: في شأن الخلق الديني: المقصود بهذا قواعد الأخلاق المستمدة من العقيدة الدينية، وقد سبق القول إن عقيدة الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به واحدة منذ كان الرسل والأنبياء، وإن من أحكام الشريعة ما هو مؤسس على الفطرة السليمة للإنسان التي جبل عليها وهذه من طبيعتها الجمود وعدم تغيرها بتغير الزمان أو المكان. وإذا كان متصورا أن تدرك الشعوب بفطرتها قواعد الأخلاق هذه فإن جمعها في وثيقة واحدة أو في أثر واحد من الآثار لينهض دليلا على أنها نتاج عمل تشريعي لأحد المشرعين أو أنها تجميع لوصايا حكيم أو نبي. وإنا لنجد هذا الخلق الديني مجموعا فيما يعرف «بالاعتراف السلبي» المأخوذ من بردية «نبسني» وقد جاء فيها: «إني لم أرتكب إثما، إني لم اقترف سطوا، إني لم أمارس العنف على إنسان، إني لم أسرق، إني لم أذبح رجلا ولا امرأة، إني لم أنقص القرابين، إني لم أفعل الخبائث، إني لم أسرق النذور، إني لم أنطق بالكذب، إني لم أسلب أحدا طعامه، إني لم أنطق بالشر، إني لم أهاجم إنسانا، إني لم أذبح الماشية المخصصة للآلهة [1]، إني لم أفعل شيئا خبيثا، إني لم أتلف الحقول المحروثة، إني لم أكن بالمتلصص ولا المتجسس، إني لم أنبس بكلمة ضد إنسان، إني لم أغضب بلا سبب، إني لم أرتكب الزنا، إني لم أدنس نفسي، إني لم أسبب الرعب لأحد، إني لم أتجاهل المواسم والأوقات المقدسة، إني لم أكن غضوبا، إني لم أصم أذني عن كلمات العدل والحق، إني لم أضرم نزاعا بين فريقين، إني لم أتسبب في بكاء أحد، إني لم أدنس نفسي ولم أرتكب الفاحشة ولا كذبت على إنسان، إني لم انتقم لنفسي، إني لم أفسد إنسانا، إني لم أعامل الناس بكبرياء وغطرسة، إني لم أحكم بغير روية، إني لم أجدف على الله ولم أغضبه، إني لم أكثر في الحديث، إني لم أفعل الخبث ولم أرتكب الشر، إني لم

(١) يبدو أن الآلهة المذكورة كانت مماثلة للأولياء والقديسين في عقائد معتنقي الأديان السماوية، لأن الإله - في عقيدتهم - واحد متفرد بالكمال.



أنطق باللعنات، إنى لم ألوث المياه، إنى لم أتحدث بخبث، إنى لم أسب الله أبدا، إنى لم أمش مختالا متكبرا، إنى لم أطلب امتيازا لنفسى، إنى لم أزد ثـروتى بغير ماهو حق لى، إنى لم أهزأ أبدا بإله فى مدينتى».

ويمكننا تلمس قواعد الأخلاق المأمور بالتحلى بها وصور السلوك الآثم المنهى عنه وموافقتها تلك التى أمر بها الإسلام وهذه التى نهى عنها من الآتى:

١ ـ إن من السلوك الآثم المنهى عنه «السطو» وهو الحرابة التى ورد بشأنها قوله تعالى:

﴿إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴿٣٣﴾﴾

[المائدة: ٣٣]

٢ ـ إن من صور السلوك المؤثم المنهى عنه الإثم، والبغى بغير الحق، وارتكاب الفاحشة، وهى محرمة بقوله تعالى:

﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق﴾

[الأعراف: ٣٣].

٣ ـ إن من السلوك المؤثم المنهى عنه الكذب والذى قال سبحانه فى شأن مقارفيه:

﴿فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٧].

٤ ـ إن من السلوك المؤثم المنهى عنه السرقة، وهى من جرائم الحدود فى الشريعة الإسلامية وفق قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾

[المائدة: ٣٨].

٥- إنه من الجرائم المؤثمة فى الدنيا والمعاقب عليها فى الآخرة قتل النفس، ولا يختلف حكمه عنه فى الشريعة الإسلامية فممَّا ورد بشأنه فى القرآن العظيم قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

[الإسراء: ٣٣].

٦- إنه كان من المنهى عنه فعل الخبائث ومقارفة الإثم، وهذا هو ذات حكم فعلها فى القرآن العظيم، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ﴾

[الحجرات: ١٢].

٧- إنه كان منهيا عن التلصُّص والغيبة، وهو المنهى عنه بالنص القرآنى:

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾

[الحجرات: ١٢].

٨- إنه كان منهيا عن الغضب مأمورا بكظم الغيظ، ويقول سبحانه وتعالى فى هذا:

﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣و ١٣٤].

٩- إنه كان منهيا عن الزنا، وهو المنهى عنه بقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [٣٢]

[الإسراء: ٣٢].

١٠ ـ إنه كان منهيا عن السعى بين الناس بالفساد، وهو ذات ما ينهى عنه قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [٧٤]

[الأعراف: ٧٤].

١١ ـ إنه كان منهيا عن الاستكبار وعن الاختيال والعجب، وهو ذات ما نهى عنه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [٣٦]

[النساء: ٣٦].

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [٢٣]

[النحل: ٢٣].

١٢ ـ إنه كان منهيا عن أكل أموال الناس بالباطل، وهو المنهى عنه بقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة: ١٨٨].

١٠ـ النتيجة المستخلصة:

يبين من العرض السابق أنه قد ثبت من آثار المصريين القدماء أنهم كانوا على عقيدة توحيد الخالق أو أنهم بلغتهم هذه العقيدة، كما أنهم أسبغوا على الخالق أسماء وصفات من أسمائه سبحانه وتعالى الحسنى ومن صفات الذات الإلهية فى الإسلام، وأنه ارتبط

لديهـم بهذه العقيدة عقيـدة البعث والحساب والثـواب والعقاب، وأنهم كـانوا مأمـورين أن يكون سلوكهم على نحو يوافق الخلق الحميد ومنهيين عن أن يكـون سلوكهم علـى نحـــو لا يصدر إلا عن خبيث الأخلاق، وأن ما كانوا مأمورين بـه وما كانوا منهيين عنه يوافق ما أمر به الإسلام وما نهى عنه. ولما كان ما عليه المصريـون القدماء قبل بعثة نوح عليـــه الســـلام لا يمكن أن يكون نتاج تطـور طبيعى فى فكر شعب من الشعوب فإنه يكـون ـ على الراجح ـ من تعـاليم نبى أو رسول هـو ــ على الغالب ــ إدريس عليـه السلام الـذى كانت بعثتـه إلى المصريين فيكون محققا أن الإسلام كان فى صحف إدريس.

*****

الفصـــل الثانى
فى صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام

١١ـ التعريف بإبراهيم:

هو إبراهيم بن آزر ـ وهو تارح ـ بن ناحور بن ساروغ بن رعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفشخد بن سام بن نوح . كان مولده فى الأهواز ـ على قول ـ وفى بابل (وهى العراق) فى قول آخر. هجر بلده الأصلى إلى حران بعد نجاته من المحـرقة التى أوقدها له من كفروا دعوته أو التى أمـر بها حاكـم البلد عامل بيـوراسب المسمى «الضحـاك» ، وقد اصطحب معـه زوجه سارة ، ثم قـدم مصر ومعـه زوجه وهى ابنـة عمه هاران ، وفى مصـر أهدى ملكهـا سارة زوج إبراهيم جارية لخدمتها هى هاجر المصرية[1]، وبعد مغادرته مصر توجه إلى الشام وأقام فى فلسطين بين الرملة وإيليا ، وهناك أنجب من هاجـر إسماعيل عليه السلام ثم أخذه وأمه إلى الجزيـرة العربية أو الحجاز وتـركهما فى مكة ، وبعد وفـاة هاجر رفع إبراهيم وابنـه إسماعيل قواعد بيت الله الحرام وقاما ببنائه . وبعـد وفاة زوجه سارة تزوج امرأة من الكنعانيين أنجبت له ستة أبناء فكان عدد أبنائه ثمانية هم : إسمـاعيل من هاجر المصرية ، وإسحاق من سارة ابنة عمه ، وستة من زوجه الكنعانية .

وكانت حيـاة إبراهيـم عليه السلام قبـل ميلاد المسيح عليه السلام بنحـو ١٨٠٠ سنة [2] وعاش نحو خمس وسبعين ومـائة سنة . وكانت لغته هى الأراميـة وتنسب إلى إرم بن سام بن نـوح أخى أرفشخد بن سـام بن نـوح الجد الأعلى لإبـراهيم ، وكـانت الأراميـة هى لغة بـابل القديمة [3] ، ومن فروعها اللغة الكلدية ، وهى اللغة الأرامية وقد تحورت بعض ألفاظها بفعل الزمن[4] .

---

(١) وهى فى الأصل من أميرات البيت الملكى الفرعونى ، كانت ضمن السبايا اللاتى أسرهن جنود ملوك الرعاة (الهكسوس) لدى غزوهم مصر.

(٢) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ، طبعة دار المعارف بلبنان ، ص٥٠ .

(٣) جورجى زيدان : الفلسفة اللغوية ، طبعة دار الهلال بمصر سنة ١٩٦٩ ، ص٢٧ و ٢٨ .

(٤) كتبت بهذه اللغة بعض أسفار العهد القديم . ومنها سفر دانيال .

١٢ـ الحنيفية فى رسالة إبراهيم:

كان قوم إبراهيم الذين كانت فيهم بعثته ممَّن يعرفون «بأصحاب الروحانيات»، وهم هؤلاء الذين كانوا يؤمنون بوجود إله لا تراه العيون ولا تدركه الحواس، لكنهم كانوا يعتقدون فى ضرورة وجود وسيط بين الإنسان وبين هذا الإله تكون ممكنة رؤيته ويكون محسوسا إدراكه حتى يمكن التوجه إليه بالسؤال والتقرب منه فيكون واسطتهم إلى الله. وفى شأن هذا الوسيط انقسموا فريقين، عرف أحدهما« بأصحاب الهياكل» أى الكواكب، وعرف الآخر «بأصحاب الأشخاص» فأصحاب الكواكب تعرفوا منازلها ومطالعها ومغاربها. وحددوا ما يوافق طبائعها وما يخالفها، وقسَّموا الأيام والساعات والليالى عليها، وقدَّروا الصور والأشخاص والأقاليم والمناطق عليها، فوضعوا لكل كوكب عزائم ودعوات تتلى فى يوم معين هو يومه وفى ساعة معينة بعد لبس خاتم على صورته وهيئته وارتداء لباس خاص به، والتبخر بنوع خاص من البخور والدعاء بدعاء مخصوص ثم سؤال الحاجة[1]. وقد جعلوا من الكواكب أربابا آلهة، ومنهم من اعتبر الشمس رب هذه الأرباب ومنهم من جعل الله رب هذه الأرباب. أما أصحاب الأشخاص فإنهم رأوا للكواكب طلوعا وأفولا وأنها لا تظهر فى النهار، فرأوا أن يكون الوسطاء إلى الله صورا موجودة وأشخاصا قائمين منصوبين أمام الأعين فيكون العكوف عليها والتوسط بها إلى الكواكب إلى الهياكل فتقربهم هذه إلى الله؛ ولذلك صنعوا أصناما على هيئة أشخاص على مثال الهياكل أو الكواكب السبعة تماثل صور فعالهم. ثم دعوا هؤلاء الأشخاص آلهة وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله[2].

وقد بدأ إبراهيم دعوته بمناظرة أصحاب الأشخاص أو عبدة الأصنام فهزمهم بالحجة كما جاء بقوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣﴾ [الأنعام: ٨٣].

(١) تعتبر الطلاسم وأعمال السحر والتنجيم والكهانة أو العرافة واستخدام الصور والعزائم والخواتيم من علوم هؤلاء المتوارثة.

(٢) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى: الملل والنحل، حـ١، ط مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٧٧، ص ٤٩ - ٥١.

وتمثلت حجته على قومه فى قوله لهم :

أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

[الصافات ٩٥و٩٦].

. ثم أتبع ذلك بأن اتجه إلى أبيه صانع الأصنام وبائعها والعالم بها وقال له :

أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾

[الأنعام: ٧٤]

كما قال له :

يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ

[مريم :من ٤٢ إلى٤٥]

ثم دعا إبراهيم عليه السلام أباه إلى الحنيفية فقال له :

يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾

[مريم: ٤٣].

فأظهر أبوه رفضه حجته القولية ورفضه دعوته إلى الحنيفية فكان منه أن :

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ

[مريم٤٦]

فكان من إبراهيم الفعل بعد أن فشل القول

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾

[الأنبياء: ٥٨].

فلما سأل قومه عمَّن كسر أصنامهم وعرفوه سألوه:

﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

[الأنبياء: ٦٢و٦٣].

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

[الأنبياء من: ٦٤ إلى ٦٧].

فكان انتصار إبراهيم على أصحاب الأشخاص أو الأصنام عندما نسب الفعل إلى كبيرهم.

ثم اتجه إبراهيم إلى أصحاب الكواكب لمناظرتهم، وكان من الله سبحانه وتعالى ـ كما أعطاه الحجة على عبدة الأصنام ـ أن أطلعه على ملكوت السماوات والأرض:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

[الأنعام: ٧٥].

ثم كان فعله وقوله مع هؤلاء مثل فعله وقوله مع عبدة الأصنام حين قال «بل فعله كبيرهم هذا» ليكون منهم الإقرار بعدم قدرته على الفعل. فكان منه حين رأى كوكبا أن قال إنه ربه

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾

[الأنعام: ٧٦]

ثم دلّل لهم بأفول النجم على عدم ربوبيته لأن الأفول يعنى عدم الكمال، ثم رأى القمر فكان له قول:

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾

[الأنعام: ٧٧]

وهو فى هذا إنما أراد أن يقيم الدليل على بطلان عقيدة عبدة الكواكب وليعلن إيمانه بالله الفرد الصمد بقوله:

﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾

[الأنعام: ٧٧]

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨و ٧٩].

وكان قوله عن الشمس للتدليل على بطلان عقيدة من كان يرى - من عبدة الكواكب - أن الشمس هى ملك الأفلاك ورب الأرباب الذى منه تقتبس الأنوار.

فلما أظهر بطلان عقيدة عبدة الكواكب من بعد أن أظهر بطلان عقيدة عبدة الأصنام أعلن أنه على دين الفطرة علىٰ الحنيفية وهى الشهادة بالتوحيد فيها الطهارة وبها الخلاص والنجاة، طرقها والوسائل هى الشرائع والمناهج، لتقريرها والإقرار بها بعث الرسل والأنبياء، منوط بتحصيلها وتحريرها الفاتحة والخاتمة والمبدأ والكمال

ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ

[الروم: ٣٠].

هى الصراط المستقيم، والمنهج الواضح والمسلك اللائح:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ [الروم من: ٣٠ إلى ٣٢].

١٣ـ تعيين المبلغين بصحف إبراهيم:

يقول المولى عز وجلا:

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ

[إبراهيم: ٤]

وهو ما يعنى أن الله يرسل إلى الناس رسلا منهم يتكلمون لغتهم ليتمكنوا من معرفة الرسالة ويفهموها، ولذلك كان حتما أن يكون من يتوجه إليهم الرسول برسالته هم قومه الذين يتكلمون لغته ويتكلم لغتهم. ومن سيرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام نعلم أنه بدأ إعلان رسالته بمحاجاة قومه الساكنين وطنه الأصلى بابل ـ أى العراق ـ على الراجح، وفى بابل أعلن عقيدته التى بعث بها الحنيفية وأوضح معناها، وهو ما يعنى أنه دعا أهل بابل إلى الحنيفية، والمعروف أن هؤلاء ـ رغم دحض حججهم وبيان فساد عقائدهم ـ كفروه ورفضوا دعوته.

ثم توجه إبراهيم إلى حران (حاران) فى الشام فى شمال سوريا وكان سكانها من الكلدانيين الأراميين، ومنهم تزوج سارة ابنة عمه هاران التى تتكلم الأرامية. وفى حران دعا

قومها إلى الحنيفية فلم يستجيبوا له ورفضوا دعـوته إلا زوجه سارة وابن أخيه لوط عليه السلام فإنهما آمنا بدعوته وأصبحا على الحنيفية.

ثم سـار إبراهيم بـزوجه سـارة إلى مصر والتقـى ملكها وكـان ـ على الـراجح ـ سنـان بن علوان، وفي قول آخر أن اسمه كان «طوليس»، ولم يكن هذا الملك مصريا بل كان أول ملوك الأسرة الأولى من الملـوك الرعاة «الهكسـوس» الذين حكموا مصـر بعد أن قتلوا فـرعون ذلك الزمان ملكها وسبوا نساء بيته ومنهن هاجـر التي وهب ملك الهكسوس سارة إياها لخدمتها، ويقال إن إبـراهيم دعا ملك الهكسوس إلى الحنيفية و إنـه آمن له، وإنه دعـا قوم الملك إلى الحنيفية، و إنه لم يدع المصريين إليها، وهو قول يـدعمه العقل وتؤيده النصـوص عـلى ما يبين من الآتي:

١ ـ إن الهكسـوس كانـوا خليطا من شعوب مـا يطلق عليه الآن« الشـرق الأدنى»، وهذه الشعـوب كـانت عناصـرهـا المجتمعـة الأعـراب المنتشرين في بـلاد الشـام وبين النهـرين «العراق». وهم من قبائل أرامية وكنعانية، كانوا يتكلمون الأرامية وهي لغة ليس بينها وبين لغة قـدماء المصـريين أيـة صلـة، وإذا ما علمنـا أن المصـريين لـم يختلطـوا بالهكسـوس على الإطلاق وأنهم عـاشوا منعزلين عنهـم لا يعرفـون لغتهم، وكـان القول الفصـل أن الله لا يـرسل إلى قوم نبيـا إلا من جنسهم يتكلم لغتهم، وكان محققـا أن لغة إبـراهيم عليه السـلام كانت الأراميـة؛ فإنه يكون محققا أن إبـراهيم عليه السلام لم يدع المصـريين إلى الحنيفية، و إنما دعا إليها الهكسوس الذين كانوا يتكلمون الأرامية لغتهم ولغته.

٢ ــ معلـوم أن إبراهيـم عليه الصـلاة والسـلام ينتسب إلى الأراميين من جهـة الأم، فأمـه «أمتالي بنت كرناب» أرامية، كما إن التوراة تصفه بـأنه أرامي، فقد جاء بها في خطاب موجه إلى موسى عليه السلام ــ «ثم تصرخ وتقول أمام الرب إلهك تائها كـان أبي فانحدر إلى مصر وتغرب هناك في نفـر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة» (سفـر تثنية، الإصحاح السادس: ٥). فـالنص التوراتي يصف يعقـوب بن إسحاق بن إبـراهيم بأنه أرامي، وهـو ما يعني كـون إبراهيم أراميا، فإذا كان الرسول إنما يبعث إلى قومـه فإن إبراهيم يكون قد أبلغ رسالته ـ خلال

وجوده فى مصر ـ الهكسوس لأنهم قومه ولم يبلغها المصريين الذين هم قوم آخرون .

٣ ـ إن المصريين كانوا موحدين من قبل إبراهيم ، فقد كانوا مؤمنين بوجود الخالق الواحد يصفونه بالصفات التى وصف بها سبحانه وتعالى نفسه من قبل ما يُعرف «بعصر ما قبل الأسرات» الذى يسبق بعثة إبراهيم بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، كما كانوا يعملون بتعاليمه وبأوامره ونواهيه على ما يبين من الآتى :

(أ) جاء «بكتاب الموتى» السابقة الإشارة إليه ، عبارات : لم أرتكب ما يغضب الله ولم أدنس نفسى فى حرم الله ، ولم اعترض على إرادة الله .

(ب) من أقوال الحكيم «كاجمنى» الذى عاش فى عصر الأسرة الثالثة الذى بدأ سنة ٢٧٨٠ ق . م . قوله : «اسلك سبيل الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الله ، احذر أن تكون عنيدا فى الخصام فتستحق عقاب الله ، لا تكن فخورا بقوتك لأن الإنسان لا يعرف مصيره ولا يعرف ما يفعل الله به إذا أنزل به عقابه» ومثل هذه النصائح لا تصدر إلا من شخص آمن بالله ووحّده ولم يشرك به ، أى على الحنيفية .

(ج) من مواعظ الحكيم «بتاح حوتب» الذى عاش فى عصر الأسرة الخامسة سنة ٢٥٦٠ ق . م . قوله : «بيد الإله مصير كل حى ولا يجادل فى هذا إلا جاهل ، سيقبل الله عملك إن كنت متواضعا مرافقا الحكماء ، ليكن للناس نصيب فيما تملك فهذا واجب على من يحب الله ، إن تدبير الخلق بيد الله الذى يحب خلقه ، إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء لأن بيده مقاليد الأمور فمن العبث الاعتراض على مشيئته ، إذا نلت الرفعة وحزت الثروة فلا تربى مالك بمنع الحقوق أصحابها فإنك أمين على نعم الله والأمين يؤدى أمانته ، الرزق يجيء على إرادة الله والجاهل من يعترض على إرادته ، إذا دخلت بيتا غير بيتك فلا تنظر بعين السوء إلى من فيه من النساء ، اعلم أن بيت الزانى مآله الخراب وكل زان ممقوت من الله ، لا تكثر من اللغو ولا تسمعه فإن تكرر فلا تصغ إليه ، ما على الرسول إلا البلاغ بغير خلط ، إذا حكمت بين الناس فاسلك طريق العدل [1]» . وهذه العظات لاتصدر إلا من مؤمن بالله موحد غير مشرك

(١) دكتور نديم السيار، المرجع السابق، ص ١٥٨ وما بعدها.

يعرف تعاليم الحنيفية والإسلام وينصح بها، وما كانت معرفته بتعاليم الدين بعد إيمانه - وقد سبقت نزول صحف إبراهيم وتوراة موسى - إلا نتاج رسالة بعث بها نبيٌّ قبل إبراهيم، فلم يكن من سبب لدعوة إبراهيم إياه وقومه إلى الحنيفية .

(د) إن هاجر كانت مصرية من بيت فرعون مصر سباها الهكسوس حين أغاروا على مصر وقتلوا ملكها، تزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام لمَّا قدَّمتها إليه سارة لتلد له الولد، وقد جاء في التوراة أن ملاك الرب ظهر لها وقال لها ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك» (سفر التكوين : الإصحاح السادس عشر: ١٢).

ومعنى هذا النص التوراتي أن هاجر قد شكت ذلها إلى الله الواحد، وهو ما يعنى أنها كانت مؤمنة بالله موحدة غير مشركة، وما كان هذا إلا لأنها مصرية شأنها شأن قومها في العقيدة الدينية، ويؤكد رسوخ الإيمان في قلبها ما كان بعد ذلك عندما تركها وابنها إسماعيل زوجُها إبراهيم عليه الصلاة والسلام في صحراء مكة بواد غير ذي زرع فسألته قائلة: «يا إبراهيم إلى من تكلنا ؟» فأجابها قائلا: «إلى الله» فما كان منها إلا أن قالت له: «انطلق فإنه لا يضيعنا» . فمثل هذا القول الصادر عن قلب لم يجزع لإيمانه أن الله لن يضيعه لا يكون إلا قول مؤمن حَسُنَ إيمانه، وهكذا كانت ، فقد كانت على الحنيفية والتوحيد شأن قومها المصريين وحَسُنَ إيمانها بزواجها من نبي الله إبراهيم.

ثم إن إبراهيم غادر مصر واتجه إلى فلسطين فلم يعد إلى بابل (العراق) حيث رفضت دعوته، وكان توجهه إلى فلسطين لتحفظ عليه فلسطين نفسه ودعوته فكانت هجرته إليها هجرة إلى الله كما يبين من قوله تعالى:

﴿فَآمَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾

[العنكبوت: ٢٦].

وفى فلسطين كانت دعوة إبراهيم أهلها إلى الحنيفية ، فسكانها من قومه ولغتهم لغته الأرامية(١) .

وأعقب ذلك ارتحال إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر وابنه إسماعيل إلى الجزيرة العربية فأنزلهما مكة ودعا ربه قائلا :

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾

[إبراهيم : ٣٧]

فلما اشتد ساعد إسماعيل رجع إبراهيم إلى مكة تلبية لدعوة ربه لتجديد بيته المحرم الكعبة المشرفة وإقامة شعائر الحج داعيا إلى الحنيفية ودعامتها الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به ، ومعرّفا بأركان الدين من إقام الصلاة وحج البيت وبيان مناسكه :

﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾

[الحج : ٢٦و ٢٧] .

وبعد أن لبّى إبراهيم عليه السلام دعوة ربه وأمره دعا لنفسه ولذريته ولمن آمن له أن يكونوا

---

(١) كانت نشأة المتكلمين باللغات السامية فى الجزيرة العربية ، ويعرف التاريخ ثلاث هجرات أو ثلاث حركات تجول كبيرة لهؤلاء الذين سموا بالساميين، بدأت أولاها فى الألف الرابع قبل الميلاد وامتدت إلى الألف الثانى وشملت العراق . واللغات السامية ثلاثة أفرع . أولها الأرامية ، وفرعاها هما السريانية والكلدانية . وقد انتشرت الأرامية فى المناطق التى أغار عليها الساميون ومنها العراق والشام وفلسطين وترجع هجرة قبيلة إبراهيم إلى أور فى بلاد الكلدانيين ثم إلى حاران إلى هذه الهجرات . أما اللغة العبرية فقد كانت فرعا من فروع اللغة الكنعانية . وتعتبر هجرة الكنعانيين من الجزيرة العربية إلى الشام وسواحل البحر الأبيض المتوسط هى الحركة الثانية من حركات تجول الساميين ؛ ولذلك كان ظهور اللغة العبرية لاحقا على ظهور اللغة الأرامية فى بلاد ما يعرف بالشرق الأدنى .

من المسلمين وأن يبعث فى عقبه رسولا منهم :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾

[البقرة من ١٢٧ إلى ١٢٩].

١٤ـ المؤمنون بإبراهيم :

أول من آمن بدعوة إبراهيم من قومه زوجه سارة وابن أخيه لوط عليه السلام، وفى مصر آمن له ملك الهكسوس ـ فى قول ـ فهو لم يتوجه بدعوته إلى المصريين الذين لم يكونوا من قومه ولم يكونوا من المتكلمين لغته، وقد كانوا مؤمنين بما جاءت به دعوته إلى الحنيفية لسبق إيمانهم بدعوة إدريس عليه السلام وما تضمنته صحفه.

وفى الجزيرة العربية فى جوار بيت الله المعظم الكعبة المشرفة دعا إبراهيم بالحنيفية وخلفه فى الدعوة بها إسماعيل عليه السلام، وكانت دعوته إلى أقوام يتكلمون لغته الأرامية. فقد كان يقيم إلى جوار الكعبة قبيلتان هما جرهم، والعماليق. وجرهم هذه هى جرهم الثانية[1] من ولد جرهم بن قحطان أخى يعرب بن قحطان، وهم من قبائل الأعراب الرحل التى كانت تجوب البلاد وكان منها ومن غيرها ما كان من الهجرات والإغارات على الشام وفلسطين والعراق. أما العماليق فهم من قبيلة أخرى من قبائل الأعراب الرُّحل تميزت بشدة البأس والقوة، ويتكون لفظ «عماليق» من مقطعين هما: «عم» ومعناه بالأرامية «بدوى»، و«ليق» وهو مصطلح أرامى يرتبط بالجنود، فكأن معناه هو «الجندى البدوى»[2]. وهذا

(١) كانت جرهم الأولى على عهد عاد وهى من العرب البائدة.

(٢) تسمى التوراة الهكسوس الذين حكموا مصر «العماليق» وبهذا الاسم جاء ذكرهم فى بعض الآثار المصرية القديمة فكان يكتب «عم» ثم تضاف إليه الواو بالرسم الخاص بها للتدليل على «الجمع».

اللفظ هو الـذى أطلقه المصـريُّون القـدماء على الهكسـوس فى كتابـاتهم لأنه من هـــؤلاء الجنـود البـدويين كـانت الأقـوام التى أغـارت على مصـر والتى غزتهـا . وقـد لبَّث هـاتـان القبيلتـــان دعوة إبراهيـم وإسماعيل عليهما السلام واعتنقتا الحنيفيـــة وبقيتـا عليها فتـــرة من الزمان ثم كان الانحراف بها ثانيـة إلى مذهب «أصحاب الأشخاص» فكان توسل الناس إلى الله بالأشخـاص يصنعون لهم تماثيل أو أصنامـا . وكان الله قد عرَّف إبرهيـم عليه السلام وأعلمه ما سيكون من هؤلاء الساكنين شعاب مكة فى قادم الأيام فكانت دعوة إبرهيم :

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

[البقرة: ١٢٩].

١٥ـ الحنيفية والإسلام :

٥ـ ١ـ الحنيفية هى الإسلام بالمعنى العام :

الحنيفية هى ملة إبراهيم التى دعا إليهـا وتضمَّنتها صحفه ، ويبين من آيات القرآن العظيم أن الحنيفية هى الإسلام بمعناه العام فيقول سبحانه وتعالى :

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

[البقرة ١٣٠و١٣١].

والمعنى إنه وإن كـان إبراهيـم قـد توجه بـدعوته إلى قـومه إلا أنـه يفترض أن على كل من تبلغه هذه الدعوة أن يؤمن بها ولو لـم يكن من قـوم إبراهيـم ولا من معاصريه لأن الدعوة قائمة إلى يوم الدين لـم تنته بوفاة إبراهيـم الرسول الداعى ، فلا يرفض هذه الدعوة إلا من سفه نفسه أى أهلكهـا بهذا الـرفض . والمعنى أيضا أن مـا دعـا إليه إبـراهيم عليه السـلام هو الإسـلام بالمعنى العام أى إسلام الوجه لله والانقياد له ، فهذا هو ما يفصح عنه قول إبراهيم لربه عندما

أمره أن يسلم فكان جوابه «أسلمت لرب العـالمين» وقد أوضح القرآن العظيم أن الإسلام بهذا المعنى كان دين أبناء إبراهيم وحفدته بقوله تعالى:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٢و١٣٣].

١٥-٢- دين الإسلام إقامة لملة إبراهيم والدين:

دعا إبـراهيم ربَّه أن يرسل إلى أبنـاء إسماعيل رسولا منهم يتلـو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، واستجاب الله دعاءه فبعث في أبناء إسماعيل منهم محمدا عليه الصلاة والسلام تلى عليهـم القرآن العظيم آيـات الله، وعلَّمهم الكتـاب فشـرح لهم بفعالـه وأقوالـه ما استغلق عليهم فهمه من أحكامـه وما عزَّ عليهم العلم به، وفسَّـر لهم ما جمل من أحكامـه، وكانت في أحـاديثه الحكمة، وأذن لـه الله أن يشفع في المؤمنين ولهم يـوم الدين فيزكيهم. فـدعوة محمد عليـه الصلاة والسلام هي الإسـلام بالمعنى الخاص وهـو في أصله تجديد لدعوة إبراهيم واتباع لدينه، فقوله تعالى في الإسلام «وذلك دين القيمة» الذي ورد فيه لفظ «القيمة» مؤنثا إنما كان للتدليل على أن المقصود «الملة» وهي الحنيفية وهو ما يعني أن الإسلام إقامة لملة إبراهيم ودينه الذي دعا إليه. ويؤكد هذا قوله تعالى لرسوله الكريم:

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾

[الأنعام: ١٦١].

وبيانه سبحانـه وتعالى أنه أوحى إلى رسوله الكريم أن يتبع ما جاء بـه إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى :

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

[النحل : ١٢٣] .

وإثباتـه سبحانه وتعالى أن من آمن بمحمـد عليه الصلاة والسـلام يكون بالضرورة مـؤمنا بإبراهيم عليـه السلام فيكـون حكمه هو ذات حكم من آمن بإبـراهيم ممَّن حضر دعـوته من معاصريـه ، فيكون له أن يشرف بما شرف بـه أتباع إبراهيم من كونهم أولياء لله كما جـاء بقوله تعالى :

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران ٦٨] .

ويبقى ـ في هـذا المقام ـ أن نقول إنه وإن كـان جميع الرسل قد دعوا إلـى الحنيفية دونما اختلاف بينهم في هذا فإنـه يكون للمؤمنين بهؤلاء الـرسل جميعا أن يقولوا إنهـــم مسلمـــون ولا يكون لأتباع رسالة رسول من الرسل إذا أنكـروا بعثة رسول آخر سبق رسولهم أو لحق به أن يقولوا عن أنفسهم إنهم مسلمون ، وإنه لهـذا يحقُّ للمؤمنين بمحمد عليه الصلاة والسلام أن يتسمَّوا بالمسلمين ، ذلك أن المـؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام له فيـه أسوة حسنة ، وقد وصف الله رسولـه الكريم بأنـه يؤمن بـالله وملائكته وكتبـه ورسله دون تفـريق بينهـم ، وبذات الوصف وصف المؤمنين برسوله الكريم فقال سبحانه وتعالى :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ﴾

[البقرة : ٢٨٥]

كذلـك أمر المولـى سبحانـه وتعالى المـؤمنين بمحمد عليـه الصلاة والسـلام أن يجهروا

بإيمانهم بما أنزل إلى الرسل والأنبياء فقال تعالى:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

●●●●

الفصـــــل الثالث

فى صحف موسى عليه السلام

١٦- التعريف بموسى عليه السلام :

هو موسى بن عمران (أو عمرام) بن قاهات بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. ولد فى مصر خلال فترة وجود بنى إسرائيل فى مصر التى بدأت بمجىء يعقوب عليه السلام وزوجه وأبنائه مصر بدعوة من يوسف عليه السلام، وانتهت بخروجهم من مصر مع موسى[1].

١٧- سـيرته :

كان مولده عليه السلام فى مصر فى زمن كان فرعون مصر قد أمر بقتل أبناء بنى إسرائيل الذكور فخافت عليه أمه - واسمها أيارخا - القتل وألقى الله فى قلبها أن تلقيه فى النيل فوضعته فى تابوت وألقت به فى النهر فالتقطه آل فرعون وتربى فى بيته، وحدث أنه لما اشتد عوده وكان يتجول فى المدينة أن صادف إسرائيليا يقتتل مع رجل من قوم فرعون فوكزه موسى فقتله فاضطر إلى الهرب من فرعون فقصد مدين وتزوج هناك من صفورة ابنة شعيب كاهن مدين حفيد شعيب النبى - على الراجح -، وبعد أن أدى مهر زوجه وكان رعى غنم حميه عشر سنوات خرج بها من المدينة فكان ما كان من أمر رؤيته نارا دنا منها فرأى نورا ممتدا من السماء إلى شجرة عظيمة، ثم سماعه نداء قادما منها من جانب الطور الأيمن من الشجرة «أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين» فسقط مغشيا عليه من هول ذلك، ثم كان أن أعلمه

---

(١) مكث بنو إسرائيل بمصر نحو مائتين وخمس عشرة سنة، فقد دخلوا مصر عندما كان ليوسف تسع وثلاثون سنة فقضوا فيها إلى حين وفاته إحدى وسبعين سنة، لأنه عليه السلام مات وعمره مائة وعشر سنوات، وكان بين وفاة يوسف ومولد موسى أربع وستون سنة، وكان خروجهم مع موسى عندما كان عمره ثمانين سنة، فيكون مجموع ما قضوا فى مصر إحدى وسبعين سنة، وأربع وستين سنة، وثمانين سنة وهو ما يساوى مائتين وخمس عشرة سنة.

الله أنه بالوادى المقدس وجعل عصاه ويده آيتين قدم بهما إلى فرعون مصر داعيا إياه للإيمان فرفض فرعون دعـوته وأحضر له السحرة فألقوا عصيهم ثم ألقى مـوسى عصاه فلقفت ما ألقوا فآمنـوا بإله موسى فقتلهم فـرعون. ثم كـان منه بأمر الله أن أرى فـرعون وقومـه آيات من قُمَّل وضفادع ودم أجبـرت فرعون على أن يأذن لبنى إسـرائيل أن يخرجوا مـع موسى، ثم لحق بهم وجنوده عند البحـر ضربه موسى فـانشق فكان له ومن معـه فيه طريق، فتبعه فـرعون وجنوده فانطبق عليهم البحر وغرقوا، وسار موسى بقومه فى سيناء قاصداً فلسطين، وفى سيناء عصاه قومه عندما غاب عنهم يتلقى التوراة من ربه فقدَّر عليهم ربهم رب العالمين التيه فيها أربعين سنة مـات خلالهـا هارون ثم لحق به مـوسى فدخل يـوشع بن نون فتى موسـى ببنى إسرائيل فلسطين.

١٨ـ صحف موســى :

جاء ذكر صحف موسى فى القرآن العظيم مقـرونا بصحف إبراهيم عليهما السلام، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾

[النجم: ٣٦و٣٧].

ويقول أيضا:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

[الأعلى: ١٨و١٩].

وصحف مـوسى المقصودة هى شىء آخـر غير التـوراة الكتاب الـذى أنزل عليـه، فليس المقصودــ فى هذا المقـام صحف موسى بالمعنى العـام الذى يشمل الكتـاب، فالصحف المقصودة هى هذه المتضمِّنة الحنيفية وحدها دون هذه المتضمنة الشريعة.

ويـلاحظ أنه لـدى نسبة الصحف إلى إبـراهيم ومـوسى فى سورة الأعلى أنـه جرى نسبـة الصحف إلى إبراهيم ثم عطف عليـه اسم موسى عليه السلام، وذلك لأنه كـان إبراهيم عليه

السلام هو الأسبق فى الوجود فقد كان طبيعيا أن تنسب إليه الصحف وأن يجىء بعد ذكره منسوبة إليه الصحف ذكر موسى عليه السلام لأنه إنما دعا إلى صحف إبراهيم أو إلى ما جاء فى صحفت إبراهيم. وأنه عندما جرى نسبة الصحف إلى موسى عليه السلام - فى سورة النجم - ثم عطف عليه اسم إبراهيم عليه السلام فإن ذلك إنما كان لأن وجود موسى كان الأقرب فى عمر الزمان من زمان المخاطبين بالنص القرآنى فلزم أن يكون علمهم بها أوسع من علمهم بصحف إبراهيم ولذلك وصف النص القرآنى إبراهيم عليه السلام بأنه وفَّى ولم يصف موسى بهذا، وما كان ذلك إلا لأن إبراهيم قد أكمل رسالته التى تضمنت تعاليمها صحفه وأتمها على التمام والكمال [1] وذلك بتمام إيمان قبيلتى جرهم، والعماليق فى مكة ودعوته بالحج، على حين دعا موسى عليه السلام على أهل فرعون الذين دعاهم للإيمان بصحفه ألا يؤمنوا حتى يروا العذاب العظيم:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٨٨﴾ [يونس: ٨٨].

وكان منه أن غادر مصر ومعه بنو إسرائيل قبل أن يؤمن له قوم فرعون.

١٩ - المخاطبون بصحف موسى:

أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام فى أول مخاطبة له عندما ذهب إلى النار التى رأى ليأتى منها بخبر أو جذوة أن يتوجه إلى فرعون وقومه، فيقول سبحانه وتعالى:

---

(١) بهذا قال ابن جرير، انظر فى هذا ابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، حـ ٤، طبعة مركز الحرمين التجارى ودار الغد العربى سنة ١٩٨٦، ص ٢٥٧.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ [القصص من : ٢٩ إلى ٣٢].

والمعنى أن الله قد أمر موسى أن يتوجه إلى فرعون وقومه بدعوته مؤيدا بآيتين لإثبات صحة دعوته وكونه رسولا من الله وأن فرعون وقومه كانوا فى فسق وعلى ضلال .

وتكرّر من المولى سبحانه وتعالى أمره موسى أن يتوجه بدعوته إلى فرعون وقومه، فبعد أن عرّفه الله ما أيّده به من البراهين الدالة على صدقه ليعرضها على فرعون أمره أن يتوجه إلى فرعون على ما يبين من قول الله له :

﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾

[طه : ٢٤].

كما أمره أن يتوجه بالدعوة إلى قوم فرعون على ما يبين من قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾

[الشعراء : ١٠و١١].

وأمر الله موسى عليه السلامَ أن يصطحب معه أخاه هارون فيعلناه أنهما رسولان من رب العالمين، وهو ما يعنى إبلاغه رسالة قوامها الإيمان بوجود الله وتوحيده لكونه وحده رب العالمين، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦﴾

[الشعراء: ١٥و١٦].

وفى بيان موضوع ماطلب الله من موسى وهارون إبلاغه فرعون وأسلوب البلاغ يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝٤٢ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ۝٤٧﴾

[طه من: ٤٢ إلى ٤٧].

ويبين من هذه الآيات أن الله قد طلب من موسى أن يعلن فرعون بالحنيفية فهو يكرر على فرعون أن هناك ربا هو رب فرعون ذاته مدَّعى الألوهية «فأتياه فقولا إنا رسولا ربك»، و« قد جئناك بآية من ربك»، وأنه سبحانه وتعالى طلب من موسى وأخيه إبلاغ فرعون أن فى الإيمان بالله وتوحيده الهدى وأن السلام لمن اهتدى .. «والسلام على من اتبع الهدى»، وأوضح الله لنبيِّه أسلوب إبلاغ الدعوة وكيف يكون البلاغ بالقول اللين قبل بيان موضوع الدعوة أو البلاغ وعرضه وهو الإيمان برب العالمين وتوحيده وبيان أنه وحده الذى بيده مقاليد الأمور والمقادير وتصاريفها، وأن هناك آخرة بعد الدنيا فيها النشور والحساب والجزاء الذى قد يكون نعيما مقيما لمن آمن وعمل صالحا أو عذابا عظيما لمن كفر وتولَّى بكبره. ويثبت القرآن العظيم أنه بعد أن فعل موسى وأخوه ما أمرهما فعله الله فإن فرعون جادلهما وكذَّب ما رأى من الآيات وأبى أن يؤمن لموسى وبربه فيقول سبحانه وتعالى فى بيان قول موسى وجدال فرعون:

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾

[طه من: ٤٨ إلى ٥٦].

كذلك يثبت القرآن العظيم أن موسى وهارون قد أبلغا الدعوة قوم فرعون، كما يثبت إصرار قوم فرعون على الكفر وتكذيبهم ما جاء به موسى من الآيات فكان جزاء ذلك تدميرهم فيقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾

[الفرقان: ٣٥و ٣٦].

ولما كان معلوما أن إبلاغ موسى وأخيه الرسالة فرعون وقومه إنما كان سابقا على نزول التوراة التي أنزلت على موسى في سيناء بعد خروجه من مصر ببني إسرائيل، وكان سبحانه وتعالى قد أثبت أنه عندما أبلغ موسى الرسالة فرعون وقومه كان قد آتاه الله كتابا، فإن هذا الكتاب لابد أن يكون كتابا آخر غير التوراة، فهو صحف موسى التي طلب الله من موسى إبلاغها فرعون وقومه، وهو ما يعني أن المخاطبين بصحف موسى هم فرعون وقومه وليس بني إسرائيل.

٢٠ـ تعيين فرعون موسى وقومه :

لم يعيِّن القرآن العظيم بنص صريح فرعون موسى ولا قومه بالتالى، فلم يكن تعيينه وقومه لازما لبيان الغاية من رواية قصة موسى عليه السلام معه ومعهم، لكن القرآن العظيم لم يمنع البحث قصد معرفة هذا الفرعون ومعرفة قومه، بل لعلَّ تجهيل الإعلام به وبهم أن يكون للحث على السعى والبحث قصد العلم والمعرفة ولهما فائدة وإن غايرت الحكمة التى وراء رواية القصة كما وردت فى القرآن العظيم .

ولمعرفة شخص فرعون موسى ومعرفة قومه بالتالى سبل عدة، منها استقراء آى القرآن العظيم، ومنها استجلاء أحداث التاريخ وأخبار الملوك، ومنها الإلمام بآراء السابقين . وهو ما نبحثه فيما يأتى :

٢٠ـ١ـ فى الاستدلال بآى القرآن:

أولا: يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾

[إبراهيم : ٤] .

فالله يبعث الرسل أول ما يبعث إلى أقوامهم الذين يتكلمون لغتهم فتتحقق الغاية من إبلاغ الرسالة وهى فهمها . وإذا عرفنا أن كلا من موسى وهارون كان يتكلم اللغة الأرامية، وأن هارون كان هو المعبِّر بلسانه عما يقول موسى فى دعوته فرعون وقومه للإيمان، وأن هارون لم يكن يعرف غير الأرامية لغةً لكونه قد تربى فى بيته بين قومه ولم يكن شأنه شأن موسى الذى نشأ فى بيت فرعون، فلا يثور شك فى أن هارون لم يعرف غير لغة بنى إسرائيل وقتذاك وهى الأرامية ـ إذ لم تكن اللغة العبرية قد ظهرت بعد ـ فيكون محققا أن الفرعون الذى خاطبه هارون وقوم هذا الفرعون كانوا يتكلمون اللغة الآرامية ويفهمونها . وقد كان هذا شأن ملوك الهكسوس أو الملوك الرعاة الذين هم من قبائل الأعراب الرُّحَّل المتجوِّلين الذين سكنوا جزيرة العرب وأغاروا على بلاد الشام وعلى مصر، والذين كانت منهم قبيلة إبراهيم عليه

الصلاة والسلام التى نزلت فى تجوالها ما بين النهرين فى الفوج الثانى من هذه الإغارات والهجرات، وهى القبيلة التى جاء منها هارون وموسى. إذا عرفنا هذا فإنه يكون محققا أن الفرعون الذى أبلغه موسى وهارون رسالة التوحيد كان من ملوك الهكسوس وأن قومه هم الهكسوس فهؤلاء وحدهم دون المصريين كانوا المعتبرين من جملة قوم موسى فهو يشترك معهم فى الأصل الواحد حين كان المصريون يختلفون عنه فيه، وهم وحدهم دون المصريين ممن كانوا يسكنون مصر الذين كانوا يتكلمون الأرامية لغة موسى وهارون ويفهمونها، خاصة أن هارون الذى لم يتكلم سوى الأرامية كان هو المعبِّر عن موسى والمتحدث إذ قال موسى ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤] فقال له الله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [القصص: ٣٥].

وهو ما أثبته أيضا قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ (١) ﴿٣٥﴾ [الفرقان: ٣٥].

ثانيا: يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾

[القصص: ٧٦].

ويقول سبحانه وتعالى فى بيان ما فعل بقارون:

---

(١) جاء فى التوراة فى بيان قيام هارون بنقل قول موسى إلى هارون وقومه: «فحمى غضب الرب على موسى وقال أليس هارون اللاوى أخاك، وأنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضا هو خارج لاستقبالك، فحينما يراك يفرح قلبه فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان» (تكوين: الإصحاح ١٤: ١٧).

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١]

و يقول مخبرا عما قاله قومه بعد أن خسف الله به الأرض:

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

[القصص: ٨٢].

ويبين من الآية الأولى من الآيات المذكورة أن قارون كان من قوم موسى، فيبقى تعيين هؤلاء القوم هل كانوا قوم موسى الأقربين أى أبناء يعقوب بنى إسرائيل أم كانوا قومه الأباعد أبناء إرم بن سام بن نوح أى الهكسوس الذين يشتركون مع بنى إسرائيل فى الأصل الواحد، فهم أيضا قومه وإن لم يكونوا من عشيرته ولا من قبيلته وجميعها فروع من فروع قومه، يدعم رأينا أن قارون كان من قوم موسى الأباعد الهكسوس ولم يكن من بنى إسرائيل قومه الأقربين[1] أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾

[القصص: ٤].

فالنص القرآنى يبين أن فرعون كان يستضعف بنى إسرائيل، ولايكون هذا إلا بمنعهم أسباب القوة ومنها المال، فلم يكن متصورا أن يسمح فرعون لأحد منهم أن يكون له من المال والرجال والعبيد والإماء ما كان لقارون. كذلك يقول سبحانه وتعالى فى وصف ما كان يفعل قارون:

---

(١) قارن ابن كثير، قصص الأنبياء، حـ٢، ط١ دار التأليف، سنة ١٩٦٨، ص١٧٥.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

[القصص: ٧٩].

ومعنى هذا أنه كان لقارون الجرأة والقدرة على أن يعرض على الملأ متباهيا مظاهر قوته من مال وخدم وعبيد، ولا يتصور عقلا أن يكون لرجل قدَّر فرعون على قومه الضعف هذه الجرأة والقوة على استعراضها متباهيا ولو كان فرعون قد استثناه مما قدَّره على قومه لسبب خاص به. فارتقاء قارون ذُرى الغنى وجرأته على استعراض مظاهر قوَّته وغناه يتعارضان مع حكم فرعون على قومه بالضعف والفقر إن قيل إن قومه كانوا بنى إسرائيل إذ أثبت النص القرآنى أن فرعون كان يستضعف هؤلاء. فإذا أضفنا إلى ذلك أن النص القرآنى يثبت أن من تمنوا مكان ومكانة قارون من قبل قد وصفوه بعدما رأوا ما فعل الله به بالكفر فقالوا «ويكأنه لا يفلح الكافرون» وكان معلوما أن بنى إسرائيل لم يكونوا ـ وهم قبيلة موسى وعشيرته وقومه الأقربون ـ كافرين إذا كانوا مؤمنين بموسى وبدعوته فإنه يكون محققا أن قارون لم يكن من قوم موسى الأقربين بمعنى أنه لم يكن من بنى إسرائيل. ولا يقال ـ فى هذا المقام ـ إن قارون كان يعلن إيمانه بموسى وبربه ظاهرا ويضمر كفره مخفيا، لأنه إن صح هذا كان قارون منافقا وليس كافرا. و مقتضى الإقرار بأن قارون كان كافرا هو الإقرار بأنه كان من قوم فرعون وقتذاك أى من الهكسوس فهؤلاء وحدهم من بين سكان مصر ذلك الزمان الذين كانوا كافرين فقد كان بنو إسرائيل مؤمنين كما كان المصريون مؤمنين بالحنيفية كما دعا إليها إدريس عليه السلام.

ثالثا: يقول المولى سبحانه وتعالى فى بيان حال قارون حين خسف به الأرض:

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

[القصص: ٨١].

ولا يعنى قوله تعالى إنه لم يكن لقارون فئة ينصرونه من دون الله أنه لم يكن له أنصار، فهذا

المعنى يتعارض مع ما أثبته النص القرآنى من أنه خرج على قومه فى زينته وهى المال والرجال، لكنه يعنى إنه ـ وقد كان له الأنصار ـ إلا أن هؤلاء لم ينصروه ولم يكن لهم أن ينصروه، وفى هذا دليل على أن قارون كان من قوم ملوك البلاد وحكامها الهكسوس، فهؤلاء وحدهم الذين ملكوا آنذاك البلاد والعباد وكان لهم الأنصار.

٢٠-٢- فى الاستدلال بالتاريخ:

تتضمَّن المعلومات التاريخية ذكر واقعات حدثت فى الماضى وتحدَّد لها أزمنة وأوقاتا ـ ويستمد المؤرخون معلوماتهم وما يسطرون من مصادر عدَّة، وبعض هذه المعلومات قد تؤكد صحته العلوم والأبحاث والحفريات والآثار، وبعضها الآخر قد تثبت هذه المصادر خطأه، كما أنه قد يصعب التثبت من صحة أو خطأ بعض آخر منها.

ويمكن القول إن من المعلومات التاريخية التى أثبت العلم وبحوثه صحتها ـ مما يتعلق بموضوعنا ـ ما يأتى:

١ ـ إن عصر إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قبل الميلاد بنحو ثمانية عشر قرنا. (١)

٢ ـ إن دخول إبراهيم عليه الصلاة والسلام مصر عاصر بداية حكم الملوك الرعاة (الهكسوس) مصر، فكان ملك مصر وقتذاك هو أول ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى التى بلغ عدد ملوكها ستة ملوك انتهت بموت آخرهم ومحيت آثارها.

٣ ـ إنه قد خلف الأسرة الهكسوسية الأولى على حكم مصر أسرتان تعدد ملوك كل منهما.

٤ ـ إن حكم الهكسوس مصر انتهى على يد أحمس الذى أسَّس الأسرة الملكية الفرعونية الثامنة عشرة، وقد بلغ عدد ملوك هذه الأسرة أربعة عشر ملكا هم ـ على التوالى ـ أحمس، وأمنحتب الأول، وتحتمس الأول، وتحتمس الثانى، وحتشبسوت، وتحتمس الثالث،

---

(١) موريس بوكاى: المرجع السابق، ص٥٠.

وأمنحتب الثانى ، وتحتمس الرابع ، وأمنحتب الثالث ، وأخناتون ، وسمنخ كارع ، وتوت عنخ آمون ، وآى ، وحورمحب .

٥ ـ إنه تـولى حكم مصر بعد ذلك ملوك الأسـرة التاسعة عشرة الذيـن كان ثالثهم رمسيس الثانى ، وقد خلفه ابنه منفتاح .

٦ ـ إن حكم ملـوك الأسرة الثـامنة عشـرة استمـر ما بين عـام ١٥٧٠ ـ وعـام ١٣٠٤ قبل الميلاد ، وأعقبه حكم ملـوك الأسرة التاسعة عشرة الذى استمـر بين عام ١٣٠٤ وعام ١٢٠٠ قبل الميلاد .

٧ ـ إن بين موسى و إبـراهيم عليهمـا السلام ستـة أجيـال على عمود النسب فقـد أنجب إبراهيم إسحـاق ، وأنجب إسحاق يعقوب ، وأنجب يعقوب لاوى ، وأنجب لاوى قـاهات ، وأنجب قاهات عمران ، وأنجب عمران موسى .

أمـا المعلومـات التى تذكـرها بعض كتب التـاريخ ولم تثبت صحتها بـدليل علمى فهى تحتمل الصحة وتحتمل الكذب فمنها ما يقال من أن فرعون موسى كان رمسيس الثانى أو إن رمسيس الثانى كان الفـرعون الذى تربَّى موسـى فى بيته ثم كان منفتاح هو فـرعون الخـروج . وما يقال من أن امرأة فرعون الذى تربى موسى فى بيته هى آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان ـ الذى هو فرعون يوسف عليه السلام ـ وكانت ابنة عم الفرعون ، وهما من الهكسوس .

٢٠ ـ ٣ ـ فى الاستدلال بالأحداث التاريخية الثابتة علميا :

من الأحداث التاريخية الثابتة التحقق علميا من آثار الأقدمين أن الهكسوس الذين قدموا إلى مصر من آسيـا قد استقـروا فى الدلتـا فى عصر الأسرة الثـالثة عشـرة الذى كـان بين عام ١٧٧٨ وعام ١٦٢٥ قبل الميلاد ، ومن الأدلة الأثرية التى تثبت صحة ذلك ما سطر كتابة فى معبد الملكة حتشبسوت المنحوت فى الصخر فى منطقة بنى حسن (اسطبل عنتر حاليا) مما يتعلق بالهكسوس ، فقد أثبتت الملكة حتشبسوت قولهـا : «لقد أقمت ما كان قد تداعى وما تهـدم فى الـوقت الـذى كـان فيـه الآسيـويـون يحكمـون فى أواريس فى الشمـال ، وكـانـوا

بجحافلهم المتجولة يعيثون بين الناس فسادا محطمين ما كان قائما . إنهم كانوا يحكمون دون اعتراف بسلطان رع ، ولم تكن لتنفذ لرع إرادة إلهية حتى جاء عهدى العظيم [(1)]»، ومن هذه الأدلة الأثرية أيضا اللوحة الأثرية التى تضمَّنت ألقاب الملك «نحس» من ملوك الأسرة الثالثة عشرة، ومن هذه الألقاب لقب «حبيب رب أواريس» ولما كانت أواريس هى عاصمة الهكسوس، وربهم هو معبود الهكسوس فقد استنتج من ذكر هذا اللقب بين ألقاب هذا الملك أنه كان يهادن الهكسوس أو إنه كان على صلة بهم ووفاق معهم .

ودلالة هذين الأثرين أن الهكسوس كانوا فى مصر فى عصر الأسرة الثالثة عشرة، وفى عصر هذه الأسرة كان قدوم إبراهيم عليه السلام مصر على ما يبين من تاريخ هذا القدوم، وفى هذا ما يصح معه القول إن الملك الذى التقى إبراهيم عليه السلام كان أول ملوك الأسرة الهكسوسية الملكية الأولى [(2)]، ودلالتهما أيضا أن الهكسوس كانوا لا يدينون دين المصريين .

ومن المعلومات التاريخية المحققة علميا إن حكم الهكسوس دام فى ثلاثة أسر حاكمة منهم ، وكان عدد ملوك أولاها ستة ملوك زالت آثارهم وآثار أسرتهم المالكة بانتهاء حكم هذه الأسرة. وكان عدد ملوك ثانيتها اثنين وثلاثين ملكا ، وكان عدد ملوك ثالثتها ثلاثة وأربعين ملكا ، ثم انتهى حكم الهكسوس على يد أحمس الذى بدأ بحكمه عصر الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٥٧٠ قبل الميلاد التى بلغ عدد ملوكها أربعة عشر ملكا ، ثم خلفتها على حكم مصر الأسرة التاسعة عشرة التى كان رمسيس الثانى ثالث ملوكها وقد حكم الفترة ما بين سنة ١٢٩٠ وسنة ١٢٢٣ قبل الميلاد. والمعنى المستفاد من هذه المعلومات أنه كان بين عصر الملك الذى التقى إبراهيم عليه السلام وبين نهاية حكم رمسيس الثانى نحو خمسائة سنة وخمسين تولى خلالها حكم مصر سبعة وتسعون ملكا . ودلالة هذا إنه لا

---

(١) أحمد فخرى : مصر الفرعونية، ط ٨ سنة ١٩٩٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٢٥٤ .
(٢) قيل إن اسم أول ملوك الهكسوس هو سنان، وقيل ساليتيس .

يتصور عقلا أن يكون فرعون موسى هو رمسيس الثانى وأن يكون ابنه منفتاح هو فرعون الخروج، ذلك إنه إذا ما علمنا أن بين إبراهيم وبين موسى عليهما السلام ستة أجيال وأن بين أول ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى الذى التقى إبراهيم وبين آخر ملوكها خمسة ملوك، فإن المقبول عقلا يكون واقع إن الفرعون الذى تربى موسى فى بيته هو خامس ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى وإن فرعون الخروج هو سادس ملوك هذه الأسرة. ويؤكد هذا الاستنتاج ما هو معروف من أنه بنهاية حكم سادس ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى انتهى حكم هذه الأسرة فدالت دولتها ومحيت آثارها وهو ما ذكره قوله تعالى:

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾

[الفرقان: ٣٦]

وينفى أن يكون رمسيس الثانى أو أن يكون منفتاح هو فرعون موسى أو فرعون الخروج أن القرآن العظيم يثبت حصول تدمير كل ما صنع هذا الفرعون وما أشاد وكل ما صنع قومه وما أشادوا من صروح وبناء وذلك بقوله تعالى:

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

[الأعراف: ١٣٧].

ذلك أن الأمر المحقق هو بقاء ما أقام كل من رمسيس الثانى ومنفتاح وقومهما من صروح ومعابد وقصور لا تزال قائمة تتحدى الزمن، حين أبيد تماما ودرس كل ما أقام ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى من بناء وصروح(١).

(١) قال البعض إن منفتاح هو فرعون الخروج وقال آخرون إنه ملك أتى من بعده، وسبب ذلك الأثر المعروف باسم «نصب العام الخامس لمنفتاح» - وهو موجود فى المتحف المصرى مع ترجمة لما دون عليه بالإنجليزية - وعلى هذا النصب يذكر منفتاح مطاردته «الهايرو» وانتصاره عليهم وطردهم من البلاد، فاعتقد البعض أن «الهايبرو» هم «العبريون» أو الإسرائيليون - وهذا غير صحيح لأن المصريين كانوا يطلقون لفظ «هايرو» على جموع القادمين من الشام ومن أرض كنعان وبهذا الاسم ورد ذكرهم فى آثار أمينوفيس، وقد كان لهم وجود من قبل عصر موسى عليه السلام كما استمر بعده.

٢١- النتائج المستخلصة :

نعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يترك أمة من الأمم إلا وأرسل لها رسولا حتى كان بعثه رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والرسل الذى كمل به وما أنزل عليه من قرآن وما روى عن رب العزة من حديث قدسى، وما أثر عنه من سنة قولية وفعلية بما أوحى به الله إليه، كمل به الدين. وتبين لنا مما سبق إيراده أن الله كان يبعث الرسل إلى أقوامهم الذين يتكلمون لغتهم حتى يفهموا الرسالة ويسهل عليهم العمل بها، وأن من هؤلاء الرسل أصحاب صحف ومنهم أصحاب كتب كما أن منهم من هم أصحاب صحف وأصحاب كتب وهو موسى عليه السلام الذى بعث بصحفه إلى ملك مصر فى وقته وإلى قومه الذين رأينا بدليل أنهم وبنى إسرائيل منحدرون من أصل واحد يتكلمون لغة واحدة، كما بعث بكتابه إلى قومه الأقربين بنى إسرائيل.

كذلك تبين لنا أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر فى كتابه الكريم من بين أصحاب الصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، غير أن ذكرهما لا ينفى أنه كان لغيرهما من الأنبياء والرسل صحف فقد جاء فى القرآن العظيم أن الله سبحانه وتعالى أنزل على داود عليه السلام الزبور الذى قد يكون اختصاصه بهذا الاسم لخاصيَّة خاصة به ربما كانت عدم تدوينه - لدى الناس - فى صحف فكان حفظه فى الصدور بعد سماعه من نبى الله داود عليه السلام.

ويبين أيضا من العرض السابق أن جميع الصحف قد تضمنت الدعوة إلى الحنيفية وهى توحيد الله وعدم الشرك به، فيقول سبحانه وتعالى فى صحف إبراهيم عليه السلام

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران : ٦٧]

وهو ما يعنى التلازم بين الحنيفية والتوحيد كما يعنى تناقض الشرك بالله مع الحنيفية، ويبين أيضا مما سبق توحد المعنى بين الحنيفية والإسلام فيقول سبحانه وتعالى فى وصف

المؤمنين الملبِّين دعوة إبراهيم عليه السلام بالحج :

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾

[الحج ٣١]

فأظهر التلازم بين الحنيفية وبين توحيد الله وعدم الشرك به، وهذا هو حال المسلمين الذين أجابوا دعوة محمد رسول الله ﷺ والذين يلبون دعوة إبراهيم للحج وهى دعوة الله ورسوله.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن دعوة نوح عليه السلام ــ وهو ممن لم يذكر له صحف فى القرآن ـ كانت إلى توحيد الله وعدم الشرك به كما يبين من قوله تعالى :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩﴾

[الأعراف : ٥٩]

وهو ما يفيد إنه ـ فضلا عن دعوة التوحيد ــ فإن نوحا عليه السلام قد أخبر عن يوم الحساب مبينا ما يكون عليه حال من يخالف من التوحيد إلى الشرك من تلقى العذاب العظيم. ويؤكد القرآن العظيم ذات المعنى بقوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣﴾

[المؤمنون : ٢٣]

فقد أبلغ نوح قومه رسالة التوحيد وعدم الشرك بالله ثم أتبع ذلك بسؤالهم «أفلا تتقون» والمعنى أفلا تتقون عذاب الله يصيب به من كفر فلم يؤمن بالله ومن أشرك به. إذا ما أضفنا ذلك وتدبرنا معنى وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام صاحب الدعوة إلى الحنيفية إنه من أتباع نوح :

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾

[الصافات من : ٧٩ إلى ٨٣].

وتدبرنا قوله تعالى :

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران : ٦٨].

إذا علمنا ذلك جميعـه وأحطنا بـه علما وتدبـرا لمعانيه تأكـد لنا أن دعـوة جميع الأنبياء والرسل ومـا ورد فى صحفهم ونطقت به ألسنتهم إنما كـان للإسلام دين التوحيـد دين الفطرة الذى كمل بأداء محمد رسـول الله عليه الصلاة والسـلام الرسالـة ؛ ولذلك كان عليـه الصلاة والسلام والمؤمنون به أولى الناس بإبراهيم عليه السلام .

■●■●■●■●■



البـــاب الثانى
الإسلام فى كتب المرسلين

٢٢ـ تمهيـــــد:

الكتب المعنيَّـة هى التوراة التى أنـزلت على موسى عليـه السلام، والإنجيل الـذى أنزل على المسيح عيسى ابن مريم عليـه السلام، والقرآن الـذى أنزل على محمد عليـه الصلاة والسلام، وطبيعى أنه والقـرآن العظيم هو دستور الإسلام والمسلمين ألا تتناوله هـذه الدراسة الخاصة بإظهار ما انطوت عليه كتب أصحاب الـرسالات من تعاليم الإسلام ـ بمعناه العام ـ وما أعلمت بـه وبشرت بكمـال الدين ببعثـة نبى الإسلام؛ لـذلك اقتصر هـذا الباب على تناول التوراة والإنجيل، غير أنه قد استوجب اشتمال كتاب «العهد القديم» على أسفار أخرى زيادة على أسفـار موسى عليـه السلام بحث الإسـلام ـ بمعنييه ــ فى هذه الأسفـار، ولهذا جرى تقسيم هـذا الباب فى ثـلاثة فصول يتنـاول أولها الإسلام ورسـوله فى كتـاب موسى، ويتناول ثـانيها الإسلام ورسولـه فى أسفار العهد القديم، ويتنـاول ثالثها الإسلام ورسـوله فى كتاب المسيح.

■■■

الفصـــل الأول

الإسلام ورسوله فى كتاب موسى

٢٣- موسى وكتابه فى القرآن:

سبق التعريف بموسى عليه السلام[1]، وكتابه هو التوراة كتبها له الله سبحانه وتعالى فى الألواح، فيقول سبحانه وتعالى:

وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ

[الأعراف: ١٤٥]

وأمر الله نبيه موسى أن يأمر قومه بنى إسرائيل بالعمل بالتوراة على أفضل الوجوه فيقول:

وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا

[الأعراف: ١٤٥]

وهو ما يعنى أن المخـاطبين بالتوراة الذين أمـروا بالعمل بها كانـوا بنى إسرائيل. وقد ورد ذكر التوراة كتاب موسى فى القرآن العظيم فى العـديد من سوره، ووصفها رب العزة فيه بأنها هدى ونور وأثبت تصديق القرآن بها فيقول سبحانه وتعالى:

الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ [آل عمران من ١ إلى ٤].

ويقول:

---

(١) راجع ما سبق بند ١٦، ١٧، ص ٦٠.

قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا
وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

[الأنعام ٩١و ٩٢].

ويقول:

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾

[الأنعام: ١٥٤]

ويقول:

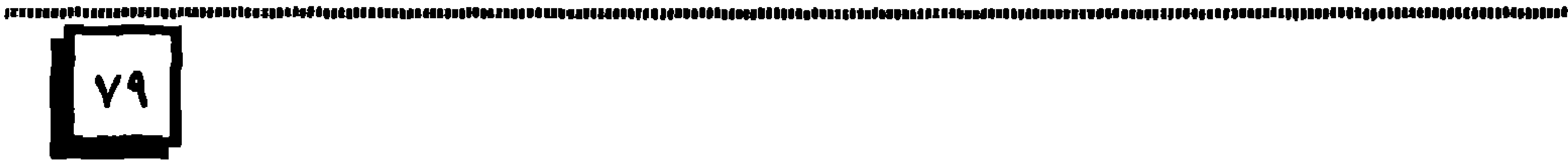
إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ
بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ [المائدة: ٤٤]، ويقول وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ

[المائدة: ٤٨]

ويقول:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ

[الأنبياء: ٤٨]



ويقول :

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود : ١٧]

ومما جاء فى شأن كتاب موسى فى هذه الآيات المباركات من القرآن العظيم يبين أن الله سبحانه وتعالى يصفه فى القرآن ويقرر فى شأنه بالآتى :

١ ـ إنه قد تضمن الدعوة للإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، وتضمن أيضا أحكام العبادات، ولذلك كان هدى ونورا. وإنه تضمن أيضا أحكام المعاملات وبيّن الخطايا والآثام المعاقب عليها فى الآخرة كما حدّد ما يعتبر فيها من الجرائم فى الدنيا وبيّن عقوباتها بما يعنى تضمُّنه الشريعة ولذلك كان وجوب الحكم به أو بما جاء فيه متعلقا بالأوامر والنواهى وأجزية مخالفتها ومتعلقا بالمعاملات المالية والإنسانية .

٢ ـ إن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام والمسلمين يؤمنون بنزول التوراة على موسى، كما إن القرآن العظيم يصدق بالتوراة كتابا أنزل على موسى ويهيمن عليه . ومن ذلك تضمن القرآن العظيم ما تضمنت التوراة من الأحكام المؤسسة على الفطرة التى لا تتغير بتغير الزمان ومثلها الواضح ما جاءت به التوراة مما يعرف بالوصايا العشر، وهى :

(أ) توحيد الله . فقد جاء فى التوراة : «أنا الرب إلهك ... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى» .

(ب) النهى عن الشرك فقد جاء فى التوراة : «لا تضع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض، ولا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك» .

(جـ) النهى عن الحلف بالله بالباطل . فقد ورد فى التوراة «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا، لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا» .

(د) تخصيص أحد أيام الأسبوع لعبادة الله على نحو خاص . فقد جاء في التوراة «اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبْت للرب إلهك» .

(هـ) الأمر بطاعة الوالدين وإكرامهما . فقد جاء في التوراة «أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك» .

(و) النهي عن قتل النفس بغير الحق . فمن الوصايا في التوراة «لا تقتل» .

(ز) النهي عن الزنا . فمن الوصايا في التوراة «لا تزن» .

(حـ) النهي عن السرقة . فمن الوصايا في التوراة «لا تسرق» .

(ط) النهي عن شهادة الزور فمن الوصايا في التوراة «لا تشهد على قريبك شهادة زور» .

(ى) النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وعن التطلع إلى حرمات الغير . فمن الوصايا في التوراة «لا تشته بيت قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك» .

ومن قبيل تصديق القرآن العظيم بكتاب موسى أنه تضمن هذه الوصايا في أوامره ونواهيه ، وقد يكون من دلائل هيمنة القرآن على كتاب موسى أنه تضمن هذه الوصايا مجتمعة ومفصّلة في آيتين اثنتين فيقول سبحانه وتعالى :

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

[الأنعام : ١٥١و ١٥٢] .

٣ـ إن الوصايا العشر التى ذكرت فى كتاب موسى والتى تضمنتها آيتان من سورة الأنعام هى صراط الله المستقيم كما وصفها المولى سبحانه وتعالى بقوله :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾

[الأنعام : ١٥٣]

ووصف الله سبحانه وتعالى هذه الوصايا بعد ذكرها فى القرآن ـ بأنها صراط الله المستقيم إنما كان لأنها من وصايا الحنيفية أو الإسلام بالمعنى العام، كما أنه تقرير بأنها من وصايا الإسلام الذى بعث به محمد عليه الصلاة والسلام ومما هو مأمور به .

٤ ـ إن كتاب موسى عليه السلام كان كاملا وتاما، شمل كل ما كان موسى محتاجا إليه لإبلاغ بنى إسرائيل الرسالة التى بعث بها وما كان بنو إسرائيل فى حاجة إليه لتنظيم أمور دنياهم ومعرفة أحكام الدين، وبتمامه كملت شريعة موسى التى تضمنت فوق الوصايا تفصيل الأحكام على ما يبين من قوله تعالى :

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾

[الأنعام : ١٥٤].

٥ ـ إنه يتعين على كل من آمن بكتاب موسى وعلى جميع من بلغته رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أن يؤمن بالقرآن العظيم ـ الذى وصفه الله بأنه مبارك ـ وأن يتبعه .

٦ ـ إن الله أنزل كتاب موسى عليه السلام إماما للناس ورحمة بهم، فكما يقتدى المأموم بالإمام فإنه يكون على من آمن بكتاب موسى كتابًا منزلاً من الله أن يؤمن بتعاليم الحنيفية التى تضمنها . وقد كان من رحمة الله بالناس أن سبق نزول التوراة كتاب موسى نزول القرآن العظيم؛ وذلك لأن من شأن الإيمان بكتاب موسى أن يؤدى إلى الإيمان بالقرآن، وفى

الإيمان بالقرآن وقاية من النار عذاب من يكفر به، فكما كانت التوراة رحمة بمن ارتكب إثمًا من بنى إسرائيل فلقى جزاءه فى الدنيا عقوبة مما ورد فى التوراة تخفف عنه عذاب الآخرة، وكانت رحمة بمن اتقى منهم بإثابته حسن الجزاء على فعله، فإنها اليوم رحمة لمن تدبرها وفهمها على وجهها الصحيح لأنه سيدرك أن من أنزلها على موسى هو الذى أنزل القرآن على محمد ﷺ فيؤمن به وبكتابه فيتجنب عذاب الله الذى توعد به الكافرين فى قوله تعالى:

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾

[هود: ١٧].

٢٤- التوراة عند أهلها:

التوراة - لدى أهلها - هى الخمسة الأسفار الأولى من العهد القديم وهى: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية. والكلمة «توراة» عبرية معناها «التعليم أو الشريعة». وبهذه الأسفار الخمسة يبدأ القسم الأول من العهد القديم، ويرى أهل التوراة أن هذه الأسفار كتبها موسى عليه السلام [1] وتتضمن أحكام الشريعة فيها - فضلا عن الوصايا العشر - ما يعرف «بالطقوس» وهى مجموعة مبادىء الدين وتكريس هارون وسبطه اللاويين لخدمة الدين، وما يعرف «بشرائع ونظم الذبائح والقرابين، وسنن الأعياد، وأحكام الدين السياسية وقواعد وإجراءات المحاكمات، وتحديد الجرائم والجزاءات أو العقوبات، وأحكام الزواج، وتحديد الآداب العامة أو قواعد الأخلاق». أما غير الشريعة مما تحتويه أسفار التوراة فهو رواية خلق الكون، وما كان من شأن الخلق والأنبياء حتى دخول بنى إسرائيل فلسطين أو - بمعنى أدق - حتي موت موسى قبل دخول فلسطين. ونظرا لأن هذه الأسفار قد عرضت قصة الخلق والأنبياء وجعلتها إطارا عرضت من

---

(١) هذا الرأى محل نظر لأسباب كثيرة ليس هذا مجال عرضها، ونكتفى بذكر سببين منها، حاصل أولهما أن المتحدث فى التوراة يستعمل ضمير الغائب فيقول «قال موسى ...» ولو كان كاتبها موسى لاستعمل ضمير المتكلم، وحاصل ثانيها أن كاتبها يروى ويقص حكاية موت موسى، ولا يتصور عقلا أن يكون موسى هو راوى قصة موته.

خلاله وفى نطاقه أحكام الحياة الاجتماعية والدينية لبنى إسرائيل أو الشعب اليهودى فقد أطلق على هذه الأسفار اسم «الناموس» .

ويشمل العهد القديم فى مجموعه ـ علاوة على أسفار موسى ـ كتبا أخرى أو أسفارا منها ما يعرف بالأسفار التاريخية، ومرجع تسميتها بهذا الاسم أنها ـ فى أغلب نصوصها ـ تتناول تاريخ بنى إسرائيل أو الشعب اليهودى منذ دخولهم فلسطين إلى النفى فى بابل فى القرن السادس قبل الميلاد وإن كانت تجمع إلى ذلك الفكر الدينى أو اللاهوتى فكأنها تكتب التاريخ انبثاقا من اللاهوت [1] ومنها ما يعرف بكتب الشعر والحكمة وتضم مزامير داود، وموضوعها الغالب مدح الله والتضرع إليه والتأمل فى خلقه و إبداعه ما خلق، كما تضم كتاب أيوب أو كتاب الحكمة والبر، والمراثى «على سقوط القدس» ونشيد الأنشاد ـ وهى أناشيد رمزية تنصب على الحب الإلهى فى المقام الأساسى، وسفر الأمثال الذى يضم مجموعة من أقوال سليمان عليه السلام وأقوال حكماء آخرين، وسفر الجامعة الذى يتحدث عن السعادة الدنيوية والحكمة، ويمكن القول إنه ينتظم هذه الأسفار قسم من قسمين يشكلان أسفار العهد القديم الزائدة على أسفار موسى. أما القسم الثانى فيعرف باسم «الكتب النبوية»، ويضم فى جانب منه وصايا العديد من أنبياء بنى إسرائيل وتعاليمهم وكتب الأنبياء ذوى المكانة العليا منفصلة عن كتب غيرهم وهى كتب صمويل، و إليا، واليشع، وعاموس، وهوشع، وأشعياء، وميخا، وصفنيا، وأرميا، وناحوم، وحبقوق، وأرميا، وحزقيال. وتبدو أهمية كتب هؤلاء ــ وأخصهم كتاب أشعياء ـ فى أنها تضم نبوءات بأحداث مستقبلة يؤمن بنو إسرائيل بحتمية تحققها ويدفعهم إيمانهم هذا إلى رسم سياستهم على النهج الذى يؤدى إلى تحققها كما يشكل سلوكهم كأفراد ومجموع.

٢٥ـ الحنيفية والإسلام فى كتاب موسى :

سبق القول إن الإسلام فى معناه العام هو الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به بمعنى

---

(١) مثال ذلك أنه ورد فى الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثانى إن انتصار ملوك آشور على بنى إسرائيل وأسرهم منسى ملك إسرائيل إنما كان لما كان عليه منسى من ضلال، وأنه بعد أن تاب عن فسقه وآمن وهو فى الأسر وعبد الله ووحّده تحقق خلاصه وخلاص بنى إسرائيل.

إسلام الـوجه لله ، وإن عمـود الإسلام ــ بمعناه الخاص ــ الذى أنـزل كتابـه على رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام هو الحنيفية . ويمكن الجزم بأن دعوة موسى عليه السلام ـ كما يبين من كتابه ـ إنما كانت للحنيفية ، ودليل ذلك ما يأتى :

١ ـ جاء فى الإصحاح الثـالث من سفر الخروج : إن الرب عندما ظهـر لموسى فى سيناء عند جبل حوريب وأمـره أن يخلع نعليه لأنه فى أرض مقدسة قال لـه : «أنا إله أبيك ، وإلٰه إبراهيم وإلٰـه إسحاق وإلٰه يعقوب» وأنـه قال له أيضـا : «هكذا تقول لبنى إسرائيل يهـوه إلٰه آبائكم ، إلٰه إبـراهيم وإلٰه إسحاق وإلٰه يعقوب أرسلنى إليكم» (خـروج : الإصحاح الثالث : ٥ و٦ و ١٥) .

ومعنى هذا أن رسالـة موسى عليه السلام إلى بنى إسـرائيل إنما كانت فى مبدئهـا إعلانا عن أساسها وهو توحيد الله وعدم الشرك به ، كمـا كانت إعلاما لهم بأن الله الواحد هو الرب الـذى دعا إلى عبـادته والانصيـاع له وتـوحيده كلٌّ من إبـراهيم وإسحاق ويعقـوب عليهم السلام . فإذا كـانت دعوة مـوسى إعادة وتكرارا لـدعوة إبـراهيم ، وكانت دعـوة إبراهيم إلى الحنيفية أو الإسلام بالمعنى العام فإن دعوة موسـى تكون ـ فى مقام أول ـ دعوة إلى الحنيفية أو الإسلام بالمعنى العام .

٢ ـ جاء فى الإصحاح السـادس والعشرين من سفر التكوين : إن الـرب ظهر لإسحاق عند بئـر سبع وقال لـه أنا إلٰه إبـراهيم أبيك ، لا تخف لأنى معك وأباركـك وأكثر نسلك من أجل إبـراهيم عبدى ، فبنى هنـاك مذبحـا ودعا بـاسم الرب (تكـوين : الإصحاح السـادس والعشرون : ٢٤ و ٢٥) .

ومعنى هذا أن إسحاق قد دعا بدعوة إبراهيم أبيه وبعبادة الله وحده وعدم الشرك به ، أى أن دعوته كانت تكرارا لدعوة إبراهيم التى كانت إلى الحنيفية .

٣ ـ جاء فى الإصحـاح الخامس والثلاثين مـن سفر التكوين : إن الله قـال ليعقوب قم واصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنـع هناك مذبحا لله الذى ظهـر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك ، فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معـه اعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم وتطهروا

وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت إيل فأصنع هناك مذبحا للرب الذى استجاب لى فى يوم ضيقى وكان معى فى الطريق الذى ذهبت فيه. فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التى فى أيديهم والأقراط التى فى آذانهم فطمرها يعقوب تحت البطمة التى عند شكيم «تكوين الإصحاح الخامس والثلاثون: من ١ إلى ٤».

ومعنى هذا إن إسحاق دعا إلى عبادة الله وحده وعدم الشرك به وأنه قرن دعوته للإيمان بالله وتوحيده ببناء بيت عبادة يعبد فيه الله وحده، وكان منه أن دفن المنحوتات والمسبوكات المصنوعة للآلهة الزائفة التى كان يعبدها بنو إسرائيل ويعتقدون ألوهيتها تشبها بغيرهم من الشعوب. ولا يعدو فعل إسحاق أن يكون تكرارا لدعوة إبراهيم عليه السلام إلى الحنيفية وتجديدا.

٤ - جاء فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج أن الرب قال لموسى: «هكذا تقول لبنى إسرائيل أنتم رأيتم أننى من السماء تكلمت معكم، لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب» (خروج: الإصحاح العشرون: ٣٣ و ٣٤)، وجاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من ذات السفر تفصيل ما قال موسى لقومه وهو: «لا تقبل خبرا كاذبا، ولا تضع يدك فى يد المنافق لتكون شاهد ظلم، ولا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر، ولا تجب فى دعوى مائلا وراء الكثيرين للتحريف، ولا تحاب مع المسكين فى دعواه» (خروج: ٢٣ من ١ إلى ٤). وورد فى الإصحاح الرابع والعشرين من السفر ذاته القول: «فجاء موسى وحدَّث الشعب بجميع أقوال الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التى قال بها الرب نفعل، فكتب موسى جميع أقوال الرب» (خروج: الإصحاح الرابع والعشرون من ٣ إلى٥).

والمستفاد من جماع هذه النصوص أن الله طلب من موسى أن يدعو بنى إسرائيل إلى توحيده وعدم الشرك به وإلى عبادته، وأن ينهاهم عن النفاق والكذب ومصاحبة المنافق والكاذب، وعن اتباع الهوى وشهادة الزور ولو لصالح مسكين، وأن موسى عليه السلام قد بلَّغ رسالة ربه بنى إسرائيل فأعلن هؤلاء - فى قول واحد - إيمانهم بالله وتصديقهم ما دعا إليه موسى، فكتب لهم موسى ما دعاهم إليه ليكون لهم ناموسا وشرعة. ويبين من مجمل ما دعا

إليه موسى مما جاء فى هذه النصوص أنه إنما دعا إلى حنيفية إبراهيم وأنه لا يختلف فى شيءعما ورد من قبل فى صحف إدريس عليه السلام مما استدل عليه من آثار قدماء المصريين (١) ولا عما جاء من بعد ـ فى شأن العقيدة والخلق الدينى ـ فى دعوة محمد عليه الصلاة والسلام التى كانت تجديدا للحنيفية وكمالا للشريعة.

٢٦ ـ البشارة الأولى بمحمد عليه الصلاة والسلام وبالإسلام فى كتاب موسى :

بعد بيان ما تضمنت توراة موسى من مبادىء الحنيفية دين الفطرة التى وردت بها صحف إبراهيم ومن قبله صحف إدريس والتى هى عمود الإسلام الذى بعث به محمد عليه الصلاة والسلام، وبيان أن دعوة موسى إلى الحنيفية كانت فى مبتدئها موجهة إلى فرعون وقومه ثم إلى بنى إسرائيل، وأن التوراة التى بين أيدينا تشهد بذلك، يبقى البحث فيما إذا كان ما دعا به موسى وإليه وتضمَّنه كتابه الذى وصفه القرآن العظيم بأنه جاء تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة كما جاء بقوله تعالى :

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤﴾

[الأنعام: ١٥٤]

يبقى البحث فيما إذا كان كتاب موسى هذا قد تضمَّن إشارة إلى نبىِّ الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام أو إعلاما بمجيئه فيكون فى هذا إبلاغ المؤمنين بكتاب موسى بأن الله سيبعث رسولا يجدِّد الحنيفية دين الفطرة، وإذا كان قد تضمَّن هذه الإشارة فيكون النظر فيما إذا كان قد وصف هذا الرسول المبشر به أم أنه خلا من هذا وذاك، فإذا أسفر البحث والنظر

(١) لم نذكر شيئا عن دعوة يوسف عليه السلام للحنيفية لعدم عناية نصوص التوراة محل البحث بإظهارها. ومعلوم أنه كان متزوجا من «أسنات» ابنة «فوطى» كاهن أون التى ولدت له ابنيه منسى وأفرايم اللذين قبَّلهما يعقوب عليه السلام واحتضنهما كما جاء فى الآيات من ٨ إلى ١١ من الإصحاح الثامن والأربعين من سفر التكوين. وفى هذا دليل على أن ابنى يوسف وأمهما وجدهما لأمهما كانوا موحدين بالله غير مشركين به.

عن وجـود مثل تلك الإشارة وهـذا الـوصف فإنه يكـون فى هـذا الدليل على تضمن كتـاب موسى السبيل إلى الهداية للحق والدخول فى رحمة الله لكونه كما وصفه الله هدى ورحمة.

وفى هذا الشأن فإننا نجـد التوراة التى بين أيدينا تقصُّ علينا أن مـوسى عليه السلام وقف خطيبا فى بنى إسرائيل يعرفهم ما طلب منه الله أن يبلغهم به، وهو ما يعنى أن قول موسى فى هذا المقام كـان بلاغا شفويـا بما فى الرسالـة التى بعث بها، وقد نجد فيمـا جاء فى التوراة الإجابة على الأسئلة موضوع البحث. فقـد ورد فى الإصحاح الأول من سفر التثنية: هذا هو الكـلام الذى كلم بـه مـوسى جميع إسرائيل فـى عبر الأردن ... ... ففى السنـة الأربعين فى الشهـر الحـادى عشـر من الشهـر كلم مـوسى بنـى إسـرائيل حسب كل مـا أوصـاه الـرب إليهم ... ... فى عبر الأردن فى أرض مواب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا ... (تثنية: الإصحـاح الأول من ١ إلى ٥). وفى بيـان فعل مـوسى ورد فى الإصحـاح الـرابع من ذات السفر أن مـوسى أخذ فـى إبلاغ بنى إسرائيـل الفرائض والأحكام وكـل ما هو مطلـوب منهم معرفته والعمل به «فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التى أنا أعلمكم لتعملوها لكى تحيـوا وتدخلـوا وتمتلكوا الأرض التى الـرب إلـه آبائكم يعطيكم» (تثنيـة: الإصحاح الـرابع ١ و٢). وفى تفصيل ما قال موسى وما أعلم به بنى إسـرائيل ليكون تصرفهم وعملهم موافقا ما علموه نجد فى التوراة: «قال لى الرب قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كـلامى فى فمه فيكلمهم بكل مـا أوصيه بـه، ويكون الإنسان الـذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلـم به باسمى أنا أطالبـه، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمـى كلاما لم أوصه أن يتكلم بـه أو الذى يتكلم باسم آلهة أخـرى فيموت ذلك النبى، وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الـذى لم يتكلم به الرب، فما تكلـم به النبى بـاسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهـو الكلام الـذى لم يتكلم به الـرب بل بطغيان تكلم بـه النبى فلا تخف منـه (تثنية: الإصحاح الثامن عشر، من ١٨ إلى ٢٣).

ومعنى قول موسى الوارد فى التوراة هو الآتى:

١ ـ إن الله سيبعث فى المستقبل نبيـا، ولن يكون هـذا النبى من بنى إسرائيل وإنمـا من

إخوتهم . ويستلزم هذا القول تعيين إخوة بنى إسرائيل المقصودين فى النص .

٢ ـ إن هذا النبى سيكون مثل موسى عليه السلام ، بمعنى أنه لا بد أن يكون بينه وبين موسى تشابه يصل إلى درجة التماثل فى الصفات الأساسية .

٣ ـ إن هذا النبى لن يبعث إلى قومه فقط وإنما إليهم وإلى غيرهم ، ولهذا اعتبره موسى مرسلا إلى بنى إسرائيل رغم أنه من إخوتهم .

٤ ـ إن هذا النبى سيتكلم بما يوحى إليه ربه ، وهذا على ما يبين من عبارة «وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصى به» .

٥ ـ إن هذا النبى سينقل كلام ربه إلى قومه شفاهة ، وذلك على ما يفهم من عبارة «فيكلمهم بكل ما أوصيه به» .

٦ ـ إنه على كل من تبلغه رسالة هذا النبى أن يؤمن به وبرسالته وبما أوحى إليه ربه ، وإن العذاب على من لا يؤمن به .

٧ ـ إن علامة التمييز أو التفرقة بين هذا النبى المرسل من ربه وبين غيره من الأنبياء الكذبة أو مدعى النبوة هو صدق هذا النبى ، وتحقق ما يبلغ به عن أمور قال بتحققها فى المستقبل بما أوحى إليه من ربه .

وهذا مفاده ثبوت تضمُّن التوراة ما يفيد التبشير بنبىٍّ يأتى من بعد موسى وتعيينه بصفات تدل عليه ، منها ما يتعلق بأصله وأرومته ونسبه ، ومنها ما يتعلق بوجود أوجه شبه بينه وبين موسى عليه السلام ، ومنها ما هو صفات خاصة به . ومفاده أيضا أن التوراة أوضحت حكم من لا يؤمن بدعوة هذا النبى المبشر به ، وأنها أعلمت أنه سيكون ظهور خلق يدَّعون النبوة كذبا وبيَّنت حكم الله فيهم وعرَّفت الخلق كيف يميزون بين النبى المبشر به وبين من يدعى كذبا النبوة .

وفيما يلى نتناول أحكام بشارة التوراة بالتفصيل سبيلا للوصول لغاية البحث .

٢٧ ـ أولا: الصفة الخاصة بقوم النبيّ المبشَّر به :

جاء بيان هذه الصفة فى قول موسى عليه السلام عن رب العزة : «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم»، وأول ما يستفاد من هذا القول أن النبى الذى سيأتى لن يكون من بنى إسرائيل، ولهذا يتعين استبعاد جميع أنبياء بنى إسرائيل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام من مظنة أن يكون أحدهم هو المقصود بهذه البشارة، كما يجب استبعاد فكرة أن يكون النبى المعنىُّ بهذه البشارة هو المسيح عيسى عليه السلام. فهو المسيح الذى كان بنو إسرائيل ينتظرونه والذى بشر به أشعياء النبى، فهو وأمه الصديقة مريم من سبط يهوذا بن يعقوب الذى سمَّاه الله إسرائيل، وتنسبه الأناجيل التى بين أيدينا إلى يوسف النجار ـ واسمه يوسف بن هالى ـ وتمد نسبه إلى داود عليه السلام وهو من سبط يهوذا. ومعلوم أنه عليه السلام كان يُدعى فى قومه بنى إسرائيل «ابن داود» وأنه وجَّه رسالته فى مبدأ الأمر إلى بنى إسرائيل وحدهم فقال لتلاميذه : «إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (إنجيل متى : الإصحاح العاشر٥و ٦)، وأنه عليه السلام قال : «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

وثانى ما يستفاد من هذا القول أن هذا النبى يكون من إخوة بنى إسرائيل مما يتعين معه معرفة إخوة بنى إسرائيل المقصودين، ونحن نعلم أن إبراهيم عليه السلام أنجب كلا من إسماعيل وإسحاق، وأن من نسل إسماعيل العرب العدنانيين ومنهم رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، ونعلم أيضا أن إسحاق أنجب كلا من عيسو ويعقوب ـ المسمَّى إسرائيل ـ وأن من يعقوب جاء أسباط بنى إسرائيل. ومعنى هذا أنه يتصور أن يكون الأخ المقصود فى النص واحدا من ثلاثة هم : عيسو، وإسحاق، وإسماعيل. ولدى تعيين المقصود منهم فإننا نجد ـ فى شأن عيسو ـ أنه جاء فى سفر التكوين من التوراة التى بين أيدينا أن عيسو باع بكورته ليعقوب «فقال يعقوب بعنى اليوم بكوريتك، فقال عيسو ها أنا ماض إلى الموت فلماذا لى بكورية، فقال يعقوب احلف لى اليوم، فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب» (تكوين : الإصحاح : ٢٥ : من ٣١ إلى٣٣) كما نجد فى ذات السفر أن إسحاق لم يبارك

عيسو وبارك يعقوب بـدلا منه : «فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسَّـه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو، ولم يعرفه لأن يديـه كانتا مشعرتين كيدى عيسو أخيه فباركه» (تكـوين : الإصحاح السـابع والعشـرون : من ٣٢ إلى ٣٤) كما نجـد فيـه أن إسحاق قـال لعيسـو: «بـلا دسم الأرض يكـون مسكنك وبـلا نـدى السمـاء من فـوق، وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد» (تكوين الإصحاح السـابع والعشرون : ٣٩ و٤٠) . ولما كان من شأن النبى أن يكون مباركا لأنـه منه تستمد البركة ، وكان عيسـو ـ بنص التوراة ـ قد حُـرم ونسله البركة ، وقُدِّر على نسله أن يستعبـدوا لأبناء عمومتهم فإنه يمتنع عقلا أن يكـون هو الأخ المقصود فى نص التبشير بالـرسول الذى يأتى من بعـد موسى ، كما يمتنع أن يكون من نسلـه ـ المقدَّرة عليهم التبعية ـ أن يكون منهم النبى الذى يوجب نـص البشارة على بنى إسرائيل اتباعه ، مما مفاده وجوب الإقرار باستبعاد مظنة أن يكون عيسو هو الأخ المقصود فى النص .

ثم إنه ـ لـدى تعيين «الأخ المقصود بالنص» من بين إسحاق و إسمـاعيل عليهما السلام فقد جاء في سفـر التكوين أن الله قال لإبراهيم : «وأما إسماعيل فقـد سمعت لك فيه ، ها أنـا أباركـه وأثمـره وأكثره كثيـرا جدا ، اثنى عشـر رئيسـا يلد ، وأجعلـه أمـة كبيرة » (تكـوين الإصحاح السـابع عشر : ٢٠) فالنص صـريح على أن إسماعيل قد حصل على البـركة من الله ، فهو يتسـاوى مع إسحاق فى كون كل منهما مبـاركا فيتصور أن يكون من نسلـه أنبياء ، وفى ذات الوقت فإن البركة التى منح تسمو على البركـة التى مُنحها يعقوب لأن مانحه إياها هو الله حين منح يعقوب البركة أبوه إسحاق عليـه السلام ؛ ولذلك كان المقبول عقلا أن يكون «الأخ» المقصود فى النص هو إسماعيل عليه السلام لسمو مرتبة النبى المبشر به ـ ومعلوم أن إسماعيل عليه السلام هو الجد الأعلى لرسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ـ ومفاد هذا أن يكون إخوة بنى إسرائيل الذين أورد النص أن يكـون منهم النبى المبشر به هم أبناء إسماعيل عليه السلام . ونعلم أن بنى إسرائيل قد درجوا من بعـد بعثة محمد عليه الصلاة والسلام إلى يومنـا هذا على القول بأنهم إخوة المسلمين أو أبنـاء عمومتهم ، ومعلوم أيضا أنـه قد ورد فى توراة موسى فـى مواضع كثيرة ما يفيد إطـلاق صفة الإخوة على أبناء العم والأقـرباء ، ومن ذلك ما جـاء فى سفر العـدد وهو: «وأرسل موسى رسـلا من قادش إلى ملـوك أدوم ، هكذا

يقول أخـوك إسرائيل قد عـرفت كل المشقة التى أصابتنـا» (عدد : الإصحاح العشـــرون : ١٤و ١٥). وهو ما يبطل معه الاحتجاج بأن أبناء إسمـاعيل هم أبناء عمومة وليسوا إخوة بنى إسرائيل.

٢٨ـ ثانيا: الصفة المتعلقة بوجود مشابه بين النبى وموسى :

جاء ذكر هذه الصفة فى قول موسى عليه السلام فى النص التوراتى فى لفظ «مثلك» لدى وصف النبى المبشـر بـه، فيقـول مـوسى عن رب العـزة: «أقيم لهم نبيـا من وسط إخـوتهم مثلك»، وهو مـا يعنى حتمية وجود شبـه فى الصفات الجـوهرية بين النبى المبشَّـر به وبين موسى. ويمكننا الجـزم بوجود العديـد من أوجه الشبه بين موسى عليـه السلام وبين محمد عليه الصلاة والسلام وبانتفائها لدى غيره على ما يبين من الآتى :

١ـ من جهة الأصل والمنبت :

جـاء مـوسى عليــه الســلام من سبط لاوى بن يعقـوب، فهـو من الـــلاويين، وهم من اختصهم الله بحمل تابوت العهـد وبإقامة الشعائر الدينية، فقد جـاء فى سفر التثنية: «فى ذلك الـوقت أفـرز الرب سبط لاوى ليحملـوا تـابوت عهـد الـرب، ولكى يقفـوا أمام الـرب ليخـدموه ويبـاركوا بـاسمـه إلى هذا اليـوم، لأجل ذلك لم يكن لـلاوى قسم ولا نصيب مع إخوته، الرب هو نصيبه كما كلمه الرب إلهك» (تثنية الإصحاح العاشر:٨و ٩). ويبين وجه الشبه ـ من هذه الجهة ـ بين موسى ومحمـد عليهما الصلاة والسلام مما هو ثابت ومعلوم من أن بنى عبد منـاف أصل رسول الله كانـوا هم المختصين بالرفـادة والسقاية وخـدمة الحجيج والعناية بـالكعبة المشرفة، إذ يعنى هـذا أن كلاً من الرسولين كان سليـل بيت اختص بخدمة شعائر الدين وخدمة مقيمى هذه الشعائر.

كذلـك يبين لنا وجـه شبه آخر بيـن موسى ومحمـد عليهما الصـلاة والسلام ـ مـن جهة الأصل ـ من معـرفة واقع التقاء أم موسى عليـه السلام مع أبيه فى جد واحـد، وأن صلة هذا

الأب بالجـد الواحـد تبعد عن صلة الأم بـه درجة أو جيـلا واحدا [(١)] وأن أم رسول الله عليـه الصلاة والسلام تلتقى أبـاه فى جد واحد، [(٢)] وأن صلة هـذا الأب بالجد الواحـد تبعد عن صلة الأم به درجة أو جيلا واحدا .

٢ـ من جهة الحرفة :

احتـرف موسى عليـه السلام ـ قبل أن يبعثه الله نبيـا رسولا ـ رعى الأغنام، فقـد ورد فى التـوراة : «وأمـا موسى فكـان يـرعى غنم يثرون حميـه كـاهن مـديان» (خـروج، الإصحـاح الثالث : ١) وكذلك كـان رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام يحتـرف الرعى قبل أن يبعثه الله برسـالة الإسـلام، فهما عليهمـا الصلاة والسـلام يتماثـلان فيما احترفـا. ونحن نعلم أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كان يحترف النجارة، فقد ورد فى إنجيل مرقس «ولما كان السبت ابتدأ يعلم فى المجمع، وكثيـرون إذْ سمعوا بهتوا قائلين من أين لهـذا هذه، وما هذه الحكمة التى أعطيت له حتى تجرى على يديـه قوات مثل هذه، أليس هذا هو النجار ابن مريم، وأخو يعقوب ويوسى ويهـوذا وسمعان» «مرقس : الإصحاح السادس : ٢و ٣). وفى هذا ما يفيد اختلاف حرفه المسيح عن حرفه موسى عليهما السلام وعدم تماثلهما .

٣ـ الزواج ووقته وأحواله :

تزوج موسى عليـه السلام قبل أن يبعثه الله نبيا ، فقد جاء فى سفـر الخروج من التوراة : «فارتضى مـوسى أن يسكن مع الرجل، فأعطى موسى صفـورة ابنته فولـدت ابنا فدعـا اسمه جرشـوم لأنه قال كنت نزيـلا فى أرض غربة» (خروج : الإصحـاح الثانى : ٢١و ٢٢). وفى هذا يماثلـه حال محمد عليه الصلاة والسـلام فقد تزوج من السيدة خـديجة رضى الله تعالى

---

(١) الجد الـواحد الذى يشترك فيـه والدا موسى هو إبـراهيم، بينه وبين موسى من جهة الأب ـ خمسة أجيال هم إسحـاق ويعقوب ولاوى وقاهات وعمـران (عمرام) : وبينه وبين مـوسى ـ من جهة الأم «يوكـابد» أربعة أجيال هى إسحاق ويعقوب ولاوى ويوكابد.

(٢) الأصل والجد الواحد الـذى يشترك فيه والدا محمد صلى الله عليه وسلم هـو عبد مناف، يفصل بينه وبين رسول الله ـ من جهة الأب ـ هاشم وعبد المطلب وعبد الله، ويفصل بينه وبين رسول الله ـ من جهة الأم ـ وهب وآمنة. انظر فى هذا أحمد عبد الوهاب المرجع السابق، ص ١٢٤ .



عنها قبل أن يبعثه الله نبيا ، وأنجب منها ابنيه عبد الله والقاسم ، وبناته زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة .

ثم إنه تعدد زواج موسى عليه السلام إذ تزوج بعد أن بعثه الله نبيا ، فقد جاء فى سفر «عدد» من التوراة : «وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها ، لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية» (عدد : الإصحاح الثانى عشر : ١) وفى هذا أيضا يماثله محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد تزوج بعد أن بعثه الله نبيًّا بأخريات من بعد وفاة السيدة خديجة .

ومفاد هذا أن هناك تماثل أحوال ومشابهة بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فيما يتعلق بالزواج وأحواله ، فكل منهما قد تزوج قبل أن يبعث بالرسالة وأنجب ممن تزوج ، كما تعدد زواج كل منهما بزواجه من بعد بعثه رسولا ، ومعلوم أن المسيح عيسى عليه السلام لم يتزوج مما مفاده انعدام وجه الشبه ـ فى شأن الزواج ـ بينه وبين موسى ، بما يعنى أنه ـ مع الإقرار بنبوته ورسالته ـ لم يكن المقصود بالبشارة المذكورة .

٤ـ صفة رجل الحرب :

كان موسى عليه السلام رجل حرب نظم الجيوش وقادها وانتصر بفضل الله حين أطاعه جيشه ، وذاق جيشه مرارة الهزيمة حين عصى عن أمره . فقد جاء فى سفر «خروج» ما يفيد قيام موسى عليه السلام بوضع الخطط الحربية : «وأتى عماليق وحارب إسرائيل فى رفيديم ، فقال موسى ليشوع انتخب لنا رجالا واخرج حارب عماليق ، وغدًا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله فى يدى ، ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق(خروج : الإصحاح السابع عشر ، من ٨ إلى ١٠) وجاء فى سفر «عدد» ما يفيد قيام موسى عليه السلام بتجهيز جيش بنى إسرائيل وإعداده للحرب : «وكلم الرب موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى أول الشهر الثانى فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا : احصوا كل جماعة بنى إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأباء كل ذكر برأسه من ابن عشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب فى إسرائيل» (عدد : الإصحاح الأول : من ١ إلى٣) وجاء فى التوراة أيضا ما

يفيد أن جيش موسى انتصر على عدوه حين أطاع موسى: «وأرسل إسرائيل رسلا إلى سيحون ملك الأموريين قائلا دعنى أمر فى أرضك، لانميل إلى حقل ولا إلى كرم ولا نشرب ماء بئر، فلم يسمح سيحون لإسرائيل بالمرور فى تخومه بل جمع سيحون قومه وخرج للقاء إسرائيل إلى البرية فأتى إلى ياهص وحارب إسرائيل فضربه إسرائيل بحد السيف وملك أرضه من أرنون إلى يبوق إلى بنى عمون» (عدد: الإصحاح الحادى والعشرون: من ٢١ إلى ٢٤). وجاء فى التوراة أيضا أن جيش إسرائيل ذاق مرارة الهزيمة عندما خالف عن أمر قائده موسى عليه السلام على ما يفصح عنه قول موسى عليه السلام فيما ورد فى التوراة من قول منسوب إليه: « فأجبتم وقلتم لقد أخطأنا إلى الرب، نحن نصعد ونحارب كل ما أمرنا الرب إلهنا، وتنطقتم كل واحد بعدة حربه واستخففتم الصعود إلى الجبل، فقال الرب: قل لهم لا تصعدوا ولا تحاربوا لأنى لست فى وسطكم لئلا تنكسروا أمام أعدائكم، فكلمتكم ولم تسمعوا بل عصيتم قول الرب وطغيتم وصعدتم إلى الجبل، فخرج الأموريون الساكنون فى ذلك الجبل وطردوكم كما يفعل النحل، وكسروكم فى سعير إلى حرمة» (تثنية الإصحاح الأول: من ٤١ إلى ٤٤).

كذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم رجل حرب جهَّز الجيوش وأعدَّ لها عُدَدها وخطَّط للمعارك وقاد جيوش المسلمين التى انتصرت عندما التزمت طاعته قائدا رسولا وذاقت مرارة الهزيمة عندما عصت عن أمره، فقد جاء فى بيان وضعه خطط المعارك قوله تعالى:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾
[آل عمران: ١٢١]

وجاء فى بيان مباشرته القتال قائدا يقود الجيوش ويقاتل قوله تعالى:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

[النساء: ٨٤]

وقد انتصر جيش المسلمين تحت قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المعارك والغزوات التى قادها عندما أطاع الجيش قائده رسول الله ﷺ، وذاق مرارة الهزيمة عندما عصى عن أمره وخالفه فى معركة أُحد.

ومفاد هذا أن ثمة تماثلا بين موسى ومحمد عليهما صلاة الله وسلامه فى صفة «رجل الحرب» التى تجمع بينهما فقد كان كل منهما حربا على الكفر والشرك بالله قاد الجيوش وقاتل منتصرا لدين الله، وهذه صفة لم تكن للمسيح عليه السلام مما لا يمكن معه التقرير بأنه الرسول المبشر به - مع الإقرار بنبوته - وذلك لانعدام أوجه الشبه بينه وبين موسى مع كونها علامة على هذا النبى.

٥ - المجىء بشريعة كاملة:

المقصود بالشريعة الكاملة هو التنظيم الكامل لأمور الدين والدنيا، بمعنى إيجاد قواعد تنظم علاقة العبد أو الإنسان بربه، تحدِّد له - من بعد وضع وبيان الأصول العامة للإيمان والتوحيد - ماهية العبادات التى يتقرب الإنسان بها إلى ربه، وكذا وضع القواعد التى تنظم علاقة الفرد بغيره من الأفراد، وعلاقته بمجتمعه، وعلاقة المجتمع بغيره من المجتمعات البشرية فيما يعرف «بأحكام المعاملات» التى تنظم ما يكون بين الأفراد من تعاملات وعلاقات مالية أو مادية أو ذات آثار مالية أو مادية مثل البيع والقرض والهبة والرهن، والتى تنظم أو تضع أحكام التجريم والعقاب التى تحدد الجرائم وعقوباتها والسلطات المختصة بتطبيقها، وتنظم أيضا ما نطلق عليه اليوم تعبير «القانون الدولى» بمجموعة من القواعد تنظم حالة الحرب وحالة السلم وما يكون من شأن الهدنة بين المتحاربين، كما تنظم سلوك المحاربين وأسلوب معاملة الأسرى، وما يتعلق بإبرام المعاهدات وبتنفيذها، وبصفة عامة كل ما يتعلق بأمور الحياة فى مجتمع من المجتمعات البشرية المتعددة.

وقد جاء موسى عليه السلام بشريعة كاملة تضمنت هذه القواعد، ففى شأن العقيدة والإيمان بالله وتوحيده والأمر بعبادته وتقواه جاء فى التوراة: «فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك

الرب إلٓهك إلا أن تتقى الرب إلٰهك لتسلك فى كل طرقه وتحبه وتعبد الرب إلٰهك من كل قلبك ومن كل نفسك «(تثنية الإصحاح: العاشر: ١٢) وفى شأن بيان ما هو حلال أكله أو شربه وما هو حرام تقول التوراة: «لا تأكل رجسًا ما، هذه هى البهائم التى تأكلونها، البقر والضأن والمعز... ... كل بهيمة تشق ظلفا وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم، الجمل، والأرنب، والوبر لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفا فهى نجسة لكم، والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم، فمن لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا» «تثنية الإصحاح الرابع عشر: من ٣ إلى ٨) وفى شأن القرض والإبراء من الدين جاء فى التوراة: «إن كان فيك فقير أحد من إخوتك فى أحد أبوابك فى أرضك التى يعطيك الرب إلٰهك فلا تقس قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير بل افتح يدك وأقرضه مقدار ما يحتاج إليه» (تثنية الإصحاح الخامس عشر: ٧و ٨) وجاء فيها أيضا: «هذا هو حكم الإبراء، يبرىء كل صاحب دين يده مما أقرض صاحبه، لا يطالب صاحبه ولا أخاه» (تثنية الإصحاح الخامس عشر: ٢) وفى شأن التجريم والعقاب جاء فى التوراة: » ولكن إذا كان إنسان مبغضا لصاحبه فكمن له وقام عليه وضربه ضربة قاتلة فمات، ثم هرب إلى إحدى تلك المدن، يرسل شيوخ مدينته ويأخذونه من هناك ويدفعونه إلى يد ولى الدم فيموت» (تثنية الإصحاح التاسع عشر: ١١و ١٢).

وفى شأن ما يعرف اليوم بالقانون الدولى فقد جاء فى التوراة: «إذا حاصرت مدينة أياما كثيرة محاربا إياها لكى تأخذها فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليه، إنك منه تأكل فلا تقطعه لأنه هل شجرة الحقل إنسان حتى يذهب قدامك فى الحصار. وأما الشجر الذى تعرف أنه ليس شجرا يؤكل منه فإياه تتلف وتقطع وتبنى حصنا على المدينة التى تعمل معك حربا حتى تسقط» (تثنية الإصحاح العشرون: ١٩و ٢٠).

كذلك جاء محمد رسول الله ﷺ بشريعة كاملة تتضمن فيما ورد فى القرآن العظيم ـ القواعد التى تنظم أمور الدنيا والآخرة من بعد إرساء قواعد العقيدة من إيمان بالله وتوحيده،

ففى شأن توحيد الله وعدم الشرك به يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص]

وفى شأن بيان ما هو حلال أكله وشربه وما هو حرام يقول سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾

[البقرة: ١٧٣].

ويقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ ﴾

[المائدة: ٩٠]

وفى شأن تنظيم المعاملات المالية و إثبات العقود يقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾

[البقرة: ٢٨٢]

وفى شأن تحديد المسئولية عن الأفعال ورد مبدأ المسئولية الشخصية فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

[الأنعام: ١٦٤]

وفى بيان الجرائم وعقوباتها ورد فى شأن القتل الخطأ أو غير العمدى، قوله تعالى :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ

[النساء: ٩٢]

وفى شأن ما يعرف اليوم بقواعد القانون الدولى نجد فى شريعة الإسلام ـ على سبيل المثال قاعدة عدم الاعتداء على المجتمعات الأجنبية وقاعدة مشروعية الدفاع عن النفس فى قوله تعالى:

وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠]

ونجد فى معاملة الأسرى وقبول الفداء فيهم أو المبادلة قوله تعالى:

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ

[محمد: ٤].

ومفاد هذا أن كلا من موسى ومحمد عليهما صلوات الله وسلامه قد جاء بشريعة كاملة تنظم أمور الدنيا والآخرة، فهما فى هذا متماثلان لا يشبههما فيه نبى آخر أو رسول من بعد موسى، فمعلوم أن رسالة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كانت من أجل الآخرة فقط وإنها لم تأت بشريعة تنظم أمور الدنيا كما يبين من قوله عليه السلام: «اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الأب قد ختمه» (إنجيل يوحنا: الإصحاح السادس: ٢٧) ومعنى هذا أنه محقق انعدام وجه التماثل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فيما يتعلق بالمجيء بشريعة كاملة مما لا يكون معه مقبولا القول إن الرسول المبشر به هو المسيح عيسى ابن مريم.

وفى هذا المقام يجدر التأكيد على أن شريعة موسى إنما كانت من عند الله وليست من عند موسى، فلم يكن موسى شارعها وإنما كان مبلغها والمعرِّف بها، وقد جاء فى بيان ذلك فى التوراة «وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه، فنظر هارون وجميع بنى إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه يلمع فخافوا أن يقتربوا إليه، فدعاهم موسى، فرجع إليه هارون وجميع الرؤساء فى الجماعة فكلمهم موسى، وبعد ذلك اقترب جميع بنى إسرائيل فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه فى جبل سيناء» (خروج: الإصحاح الرابع والثلاثون: من ٢٩ إلى ٣٢). كذلك فإن الشريعة الإسلامية هى تشريع الله جل وعلا ولم يكن رسول الله ﷺ سوى مبلغها والمعرف بأحكامها، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩١ : ١٩٧]

وفى قوله تعالى إشارة إلى سبق التبشير برسول الله وبكتابه الكريم المنزل من الله، ويعلم علماء بنى إسرائيل بحقيقته عليه الصلاة والسلام وكونه مرسلا من ربه وبصحَّة القرآن كتابا منزلا من الله وذلك مما عرفوا من الحق من التوراة التى بين أيديهم.

٢٩ـ ثالثا: الصفة الخاصة بشخص النبى المبشر به:

هذه الصفة هى «الأمية» بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة؛ ولذلك تكون وسيلة إبلاغ النبى المبشر به ما أنزل إليه من ربه هى الكلام أو المشافهة وليس الكتابة [(١)] ولا يمنع هذا

(١) من المعلوم أن موسى عليه السلام كان يجيد القراءة والكتابة، وقد جاء فى التوراة: «ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من الحجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين .... وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات» (خروج: الإصحاح الرابع والثلاثون: ١ و ٢٨). وجاء فيها أيضا: «وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى» (تثنية الإصحاح الحادى والثلاثون: ٩).

من أن يكون من بعد الإبلاغ تدوين ما أبلغ به بواسطة الكتبة. ويبين ذكر هذه الصفة كصفة خاصة فى الرسول المبشر به مما جاء فى التوراة من بعد إيضاح صفة المشابهة بين هذا النبى وبين موسى من ذكرها قول الله فى بيان فعل هذا النبى : «فيكلمهم بكل ما أوصيه به» بمعنى أنه ينقل إلى قومه ما أوحى إليه باللسان وليس فى محرر مكتوب، وعلة ذلك أن هذا النبى لا يكتب وقد كان هذا هو حال محمد عليه الصلاة والسلام الذى ذكر الله أنه أبلغ ما أنزل إليه من ربه نطقا باللسان فى قوله تعالى:

وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾

[النجم: ٣: ٥].

٣٠ـ عمومية دعوة النبى المبشر به، وجزاء من يكفر بها:

يبين من قول موسى عليه السلام نقلا عن ربه ـ كما جاء فى التوراة ـ أن النبى الذى بشَّر به سيبعث للناس كافة وليس لخاصته أو لقومه الأقربين فقط، وذلك على ما يفصح عنه قوله إنه سيكون مبعوثا لبنى إسرائيل أيضا رغم كونه من غيرهم أو من إخوتهم، إذ يقول موسى نقلا عن ربه: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم» فهو نبىٌّ لهم كما أنه نبىٌّ لقومه ولغيرهم من الأقوام. وهذا ما يثبته القرآن العظيم فى شأن رسوله الكريم بقوله تعالى:

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

[الأعراف: ١٥٨].

كذلك أوضح القرآن العظيم أنه بعد أن بعث الله الأنبياء إلى الأمم السابقة فإن أناسها حادوا عن طريقه المستقيم واختلفوا فى شئون العقيدة فأرسل الله محمدا عليه الصلاة والسلام ليبين لهم الصحيح فيما اختلفوا فيه ليهديهم إلى الحق فيكون رحمة لهم ورحيمًا

بهم، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

[النحل: ٦٣و ٦٤].

وقد أوضح موسى عليه السلام نقلا عن رب العزة سبحانه وتعالى أن الله سيعذب من يكفر بدعوة النبى المبشر به ومن لا يستجيب لها فيؤمن، وذلك على ما يبين من قوله الوارد فى التوراة: «وأما الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى فأنا أطالبه»، وهذا هو حكم الله - فى دين الإسلام - فيمن تبلغه دعوة رسول الله ولا يؤمن بها، يطالبه الله جزاء ما أنكر من دعوة الحق فيكون عذابه.

وإذا كان قول الله فى النص التوراتى يصف من يكفر بدعوة النبى المبشر به بعدم سماعه الكلام فإن القرآن العظيم قد وصفه بالأصم والأعمى، وذلك لأنه لم يسمع كلام الله ولم ير آياته، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

[البقرة: ٦و ٧]

ويقول:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

[البقرة: ١٧و ١٨].

وهذا الوصف يشابه وصف من يكفر بدعوة هذا النبى فى قول موسى عليه السلام فى النص التوراتى بأنه لا يسمع كلام الله الذى أبلغ به النبى المبشر به المبعوث للناس كافة بشيرا ونذيرا عليه صلوات الله وسلامه.

٣١ـ التمييز بين النبى المبشَّر به وبين مدَّعى النبوة :

أوضح نبىُّ الله موسى عليه السلام فى قوله عن رب العزة أنه سيكون من بعده من يدَّعى النبوَّة، وبيَّن عليه السلام كيفية التمييز بين النبىِّ الصادق المبشَّر به وبين هؤلاء الكذبة، فذكر أن النبى المبشر به يدعو لعبادة الله الواحد الأحد وأنه يخبر ـ بوحى من الله ـ بأحداث مستقبلة فتقع الأحداث كما أخبر، والمعنى أن علامة صدق النبى المبشَّر به اجتماع شرطين أولهما أن تكون دعوته لله الواحد الأحد، وثانيهما ثبوت صدق ما يتنبأ به مما أوحى إليه ربه.

٣١ ـ ١ ـ الدعوة لله الواحد الأحد :

بمعنى عدم الدعوة لغير الله ولا لعبادة غيره، وأن تكون الدعوة لعبادة الله وحده. وقد جاء فى التوراة ـ وبه يفسر قول موسى عليه السلام ـ «إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلما فأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلَّمك عنها قائلا لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم» (تثنية : الإصحاح الثالث عشر: من ١ إلى ٣)، أما قول موسى ـ الذى يفسر بهذا النص التوراتى ـ الوارد فى شأن النبى المبشر به فهو: «وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى» ومفاده وجوب قتل من يدَّعى النبوة كذبا وافتراء على الله لأنه يفسد على الناس دينهم.

٣١ ـ ٢ ـ صدق ما يتنبأ به مما أوحى إليه :

بمعنى وجوب أن تثبت الأيام والأحداث صدق ما أخبر به النبى من أحداث مستقبلة تقع أو لا تقع، فإن جرت الأيام والأحداث بغير ما أخبر فلا يكون نبيا صادقا ولا يكون بالتالى

هو النبى المبشر به .

ولا مـراء فى أن هاتين العـلامتين قد قـامتا دليلين على أن محمـدا ﷺ هو النبى المبشـر به، فقـد دعا إلى عبادة الله وحـده وعدم الشرك به، مـوضحا ـ بـوحى من الله ـ أنه سبحـانه وتعالى يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك به، كما أنه أخبر عن أمور مستقبلة تقع فكان الأمر مع الأيام تحققهـا وفق ما أخبـر، من ذلك أنه نقل وحى الله إليه فى شأن أبى لهـب وامرأته قـرآنا يتلى :

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

[سورة المسد]

فأخبر أنه لن يـؤمن أبو لهب ولن تؤمن امرأتـه لتكون عاقبة أمرهمـا النار. ورغم أن العمر امتد بأبى لهب نحو ثلاثة عشر عاما بعد نـزول هذه الآية فإنه لم يؤمن كما أنه لم يعلن إيمانه ولو نفاقـا، وكذلك كان حال زوجـه وفعلها، وفى هذا الدليل على صـدق ما أبلغ رسول الله مما أوحى إليه ربه. كذلك فإنه عليه الصلاة والسلام أبلغ ـــ مما أوحى إليه قرآنا ـ أنه سيكون انتصـار الروم على الفـرس خلال سنـوات تتراوح بين الثـلاث والتسع على معنى «بضع» فى قوله تعالى :

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

[سورة الروم : من ١ إلى ٥] .

ولو علمنا ما كان عليه حال الروم وحال الفرس يوم تلى نبى الله عليه الصلاة والسلام هذه الآيات بعد أن أنـزلها عليه قرآنا لعلمنا أنـه كان يقول بعكس ما تدل عليه الحـال وبما يكاد

يكون من المستحيل، فقد كان وقتها أحد جيوش فارس محتلا الأناضول حين كان جيش فارسى آخر قد فتح بلاد الشام مستوليا على أنطاكية، ثم أتبع ذلك بالاستيلاء على دمشق ومنها دخل إلى فلسطين يقوده شهرباراز الذى أخذ فى إتلاف الأرض وحرق الكنائس إلا كنيسة المهد أبقى عليها لأنه وجد أعلى بابها صورا لحكماء يرتدون ملابس فارسية، ثم إنه اندفع بجيشه إلى بيت المقدس فدخلها وأزمع البطريرك زخارى «زكريا» تسليم المدينة رغم اعتراض المسيحيين فيها على هذا القرار، ولم يترك شهر باراز مهلة لزخارى يتدبر فيها أمر قراره فاقتحم المدينة وأمعن فى قتل سكانها حتى بلغ عدد القتلى نحو ستين ألف نسمة، وتلى ذلك قيام جيوش فارس بغزو مصر مع موالاة جيوشهم فى الشام تقدمها شمالا حتى وصلت البسفور. وقد أحزن المسلمين بصفة خاصة سقوط بيت المقدس وما فعله الفرس بسكانها المسيحيين أهل الكتاب فى يد الفرس الوثنيين، وفى هذه الأثناء والحال تؤكد دوام انتصارات الفرس وهزائم الروم أهل الكتاب نزل الوحى على رسول الله مخبرا أنه سيكون انتصار الروم على الفرس فى بضع سنين، وقد تحقق هذا بالفعل بعد سبع سنوات إذ انتصر الروم بقيادة هرقل على الفرس فى معركة وقعت خلف جبال القوقاز، ثم تتبع هرقل جيوش كسرى حتى عاصمة ملكه واسترد من فارس كل ما كانت استولت عليه من الأراضى والبلاد، ليثبت صدق ما أبلغ به رسول الله ﷺ، وليبين تحقق العلامتين الدالتين على كونه النبى المبشر به.

٣٢- البشارة الثانية بمحمد عليه الصلاة والسلام:

والإسلام فى كتاب موسى:

جاء فى التوراة التى بين أيدينا: «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته، فقال جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير «ساعير» وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم» (تثنية: الإصحاح الثالث والثلاثون: ١ و ٢) ومعنى قول موسى عليه السلام فى النص التوراتى أنه وصف ما حدث من مخاطبة الله إياه فى سيناء ونزول الشريعة عليه بأنه «مجىء الرب من سيناء» إذ كان فيها نزول

الشريعة، ثم كان منه أن بشَّر بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فيما ورد من قوله إن الله أشرق من ساعير، وساعير منطقة فى فلسطين أخذت اسمها من جبل ساعير من جبال الروم، وقد سمى باسم «سعير» جد الحوريين، وتقع هذه المنطقة بجهة «أدوم» ومعناها بالعبرية «أحمر» وهو اسم من أسماء عيسو بن إسحاق وأخى يعقوب عليهما السلام، ومعلوم أن المسيح عليه السلام قد ولد وأدى أمانة الرسالة فى فلسطين كما أخبر موسى عليه السلام. ثم كان من موسى عليه السلام التبشير - من بعد المسيح - بمحمد عليه الصلاة والسلام فيما ذكر من تلألؤ الله من جبل فاران، وفاران اسم من أسماء مكة كما جاء فى التوراة فيما ترويه عن إسماعيل عليه السلام: «وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس، وسكن فى برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» (تكوين: الإصحاح الحادى والعشرون: ٢٠ و ٢١). ويبدو أن الكلمة فى الأصل عبرية معرَّبة، وفاران أيضا اسم جبل من جبال مكة المحيطة بصحنها، وفى مكة ولد رسول الله ﷺ وتلألأ نور الله بنزول القرآن على رسوله فيها نورا يهدى للتى هى أقوم، كذلك تضمن قول موسى عليه السلام الإشارة إلى إسراء الله برسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى القدس. وعلى هذا يكون واضحا أن موسى عليه السلام قد أخبر - فى هذا النص التوراتى - عن نفسه وشريعته وعمَّن يأتى من بعده وكتبهم فعيَّن عيسى ومحمدا عليهما صلاة الله وسلامه وحدَّد مكان مبعث كل منهما، فكان فى قوله التبشير برسول الله ﷺ.

الفصـــل الثانى

الإسلام ورسوله فى أسفار العهد القديم

٣٣ـ تقــــديم :

يضم كتاب «العهد القديم» تسعة وثلاثين سفرًا، تنسب الخمسة الأسفار الأولى منها إلى نبى الله موسى عليه السلام، وهى التوراة، ومن بين باقى الأسفار ما كتبه أنبياء، وما نسبت كتابته إلى أنبياء أو ملوك ـ كما يرى ذلك بعض اليهود ـ ومن هؤلاء المنسوبة إليهم بعض الأسفار من يُعلى أهل الكتاب قيمته وقيمة ما هو منسوب إليه من الأسفار، وأخصُّ هؤلاء هم : داود عليه السلام، ويعرف السفر المنسوب إليه «بالمزامير» وسليمان عليه السلام ويعرف السفر المنسوب إليه «بالحكمة» وأشعياء، ويعرف السفر المنسوب إليه باسمه.

وهناك من يرى أن سفر المزامير هو «الزبور» الذى أنزل الله على داود عليه السلام فيما ورد بشأنه قوله تعالى :

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾

[النساء : ١٦٣]

فيكون بهذا مختصا باسم معين، فلا يكون كتابا منزلا على رسول صاحب رسالة وإنما على نبى مُبلغ، كما لا يكون صحيفة إلا إذا تم تدوينه فى صحيفة فيكون كذلك وفق معناها الوضعى مع احتفاظه باسم «الزبور» اسما خاصا سمَّاه به الله. أما سفر «الحكمة» المنسوب إلى سليمان عليه السلام، وسفر «أشعياء» فهما من البيِّنات فيما جاء بقوله تعالى :

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨٤].

٣٤ـ الإسلام فى مزامير داود :

المقصود بذلك هو الإسلام بمعناه العام أو الحنيفية دعوة إبراهيم عليه السلام القائمة على الإيمان بالله وتوحيده وعبادته وإطاعته فيما أمر وفيما نهى، وعدم الشرك به. ومن أمثلة ما ورد فيه فى مزامير داود ما يأتى :

١ ـ الصلاة لله الواحد:

«اسمع لصوت دعائى يا ملكى وإلهى لأنى إليك أصلى» «المزمور الخامس : ٣».

٢ـ النهي عن التكبر والتعالى وعن القتل والغش:

«لايقف المفتخرون قدام عينيك، أبغضت كل فاعلى الإثم، تهلك المتكلمين بالكذب، رجل الدماء والغش يكرهه الرب» (المزمور الخامس : ٥و ٦).

٣ـ التوكل على الله العادل :

«على الرب توكلت ... لأن الرب عادل ويحب العدل» (المزمور الحادى عشر: ١و ٧) و«الرب راعى فلا يعوزنى شيء» (المزمور الثالث والعشرون : ١).

٤ـ النهى عن الحسد والحثّ على الثقة بالله :

«لا تَغِرْ من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم فإنهم مثل الحشيش سريعا يقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون، اتكل على الله وافعل الخير» (المزمور السابع والثلاثون : من ١ إلى ٣).

٥ـ طلب الرحمة والمغفرة من الله وحده:

«ارحمنى يا رب حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك امح معاصىَّ، اغسلنى كثيرا من إثمى ومن خطيتى طهرنى» (المزمور الحادى والخمسون : ١ و ٢).

٦ـ الله هو الأول والآخر :

«يارب ملجأً كنت لنا فى دور فدور، من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة

منذ الأزل إلى الأبـد أنت الله» (المزمور التسعـون: ١و ٢) و «كرسيك مثبتة منذ القـدم، منذ الأزل أنت (المزمور الثالث والتسعون: ٣).

٧ـ عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام :

«يخزى كـل عـابـدى تمثـال منحـوت، المفتخـرين بـالأصنـام»(المـزمـور السـابع والتسعون: ٧). و«إن إلهنـا فى السماء كل ما شـاء صنع، أصنامهم فضـة وذهب عمل أيدى الناس، لها أفـواه ولا تتكلم، لها أعين ولا تبصر، لها آذان ولا تسمع لها منـاخر ولا تشم لها أيد ولا تلمس لها أرجل ولا تمشى ولا تنطق بحناجرها». (المزمور الخامس عشر ومائة: من ٣ إلى ٧).

٨ـ أداء الفرائض والعمل بشريعة الله :

«علمنى يارب طريق فرائضك فأحفظها إلـى النهاية، فهمنى فألاحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبى» (المزمور التاسع عشر ومائة: ٣٣ و ٣٤).

٩ـ التواضع لله :

«يارب لم يـرتفع قلبى ولم تستعل عيناى ولـم أسلك فى العظائم ولا فى عجـائب فوقى» (المزمور الحادى والثلاثون ومائة: ١).

١٠ـ أخوة المؤمنين :

«هـوذا ما أجمل أن يسكن الأخـوة معـا، مثل الدهـن الطيب على الرأس، النـازل على اللحية لحية هارون، النازل إلى طرف ثيابه» (المزمور الثالث والثلاثون ومائة: ١و ٢).

١١ـ لا ملجأ من الله إلا إليـه :

«أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب، إن صعـدت إلى السماوات فأنت هناك، وإن فرشت فى الهاوية فها أنت، إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر فهناك أيضا تهدينى وتمسكنى يمينك» (المزمور التاسع والثلاثون ومائة: من ٧ إلى ١٠).



١٢ـ عدم الاعتماد على ذوى السلطان :

«لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده، تخرج روحه فيعود إلى ترابه» (المزمور السادس والأربعون ومائة: ٣ و ٤).

١٣ـ تسبيح جميع المخلوقات لله :

«سبحوا الرب من السماوات، سبحوه من الأعالى، سبحوه يا جميع ملائكته، سبحوه يا كل جنوده، سبحيه يا أيتها الشمس والقمر سبحيه يا جميع كواكب النور، سبحيه يا سماء السماوات ويا أيتها المياة التى فوق السماوات» (المزمور الثامن والأربعون ومائة: من ١ إلى ٤).

وإذا كان من يتدبر هذه المزامير لا شك مدركا أنها إنما وردت فى توحيد الله وفى النهى عن الشرك به وفى الإيمان بملائكته وكتبه وأمرت بتسبيحه كما تسبحه كافة المخلوقات، فإنه سيرى أن ما جاء بهذه المزامير هو إسلام الوجه لله الذى نادى به إبراهيم عليه السلام فهو الحنيفية، كذلك فإن من يتدبر هذه المزامير سيدرك أن دين الإسلام الذى بعث به رسول الله ﷺ قد تضمن ما ورد بهذه المزامير، ومثال ذلك ما يأتى:

١ـ فى الصلاة لله وأداء الزكاة :

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢و ٣].

٢ـ فى التوكل على الله :

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١]

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٢٢﴾ [آل عمران: ١٢٢].

٣ـ النهى عن التكبر :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

٤ـ النهى عن الغش فى المعاملات :

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

[المطففين : من ١ إلى ٣].

٥ـ النهى عن الحسد والحث على الثقة بالله :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

[الفلق]

و

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾

[آل عمران : ١٧٣].

٦ـ طلب الرحمة والمغفرة من الله :

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦﴾

[آل عمران : ١٦].

٧ـ الله هو الأول والآخر :

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾

[الحديد : ٣].

٨ ـ عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[البقرة: ٢١و ٢٢].

٩ ـ أداء الفرائض والعمل بالشريعة :

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

[التوبة: ٧١].

١٠ ـ التواضع لله :

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨].

و

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾

[الإسراء: ٣٧].

١١ ـ أخوة المؤمنين :

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

[آل عمران: ١٠٣]

١٢ـ لا ملجأ من الله إليه :

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾

[التوبة: ١١٨]

١٣ـ عدم الاعتماد على غير الله :

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾

[البقرة: ١٦٧]

١٤ـ تسبيح الكائنات :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

[الأعراف: ٢٠٦]

و

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

[آل عمران: ١٩١]

و

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

[النحل: ٤٧ و ٤٨]

و
﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

[الإسراء: ٤٤].

٣٥ـ التبشير بمحمد عليه الصلاة والسلام فى المزامير:

جاء فى المزامير: «أنت أبرع جمالا من بنى البشر، انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم، اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون، كرسيك يا الله إلى دهر الدهور». (المزمور الخامس والأربعون: من ٢ إلى ٦). وجاء فيها أيضا: «غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحة فى جماعة الأتقياء، ليفرح إسرائيل بخالقه ... ... ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله فى أفواههم وسيف ذو حدين فى يدهم» (المزمور التاسع والأربعون ومائة: من ١ إلى ٦).

ففى هذين المزمورين وصف داود عليه السلام النبى المبشر به بتمام صفات الحسن، وبأنه من شفتيه تخرج النعمة التى أنزلها الله عليه ـ وهذه هى نعمة القرآن ـ ووصفه بأنه مقاتل يقاتل فى سبيل إعلاء كلمة الله، وأخبر بأنه سيهزم أعداء الله ليكون دينه خاتم الأديان إلى أبد الدهر، كذلك فإنه وصف غناء المؤمنين به بأنه ترنيمة جديدة وتسبيح، فأخبر عن التهليل والتكبير والنداء على الصلاة بالأذان بالصوت، وجاء حديثه عن فرح إسرائيل للتنويه عن عالمية دعوته ووجوب إيمان اليهود به لذكره فى التوراة، ثم إنه أوضح أن سيوف المؤمنين به رجال جيشه ذات حدين، وقد كانت هذه هى سيوف المسلمين فى جيش رسول الله ﷺ المسماة بالصفائح.

٣٦ـ الإسلام فى حكمة سليمان:

يتضمن سفر الأمثال تعاليم حنيفية إبراهيم عليه السلام وتعاليم الإسلام الذى بعث به

رسول الله ﷺ ومـمًّا جاء فيه من هذه التعاليـم :

١ـ مخافة الله وخفض جناح الذل للوالدين :

«مخافـة الرب رأس المعرفـة ، ... ... اسمع يا ابنى تأديب أبيك ولا ترفض شـريعة أمك» (أمثال ، الإصحاح الأول : ٧و ٨) .

٢ـ الأمر بالعمل بشريعة الله وبتقواه وبفعل الخير :

« يا ابنى لا تنس شريعتى ، بل ليحفظ قلبك وصايـاى اتّق الرب وابعد عن الشر . لا تمنع الخير عن أهله حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله» (أمثال : الإصحاح الثالث : ١ و ٧و ٢٨)

٣ـ النهى عن الزنا وعن السرقة :

«أيأخذ الإنسان نـارا فى حضنه ولا تحترق ثيابه أو يمشى إنسـان على الجمر ولا تكتوى رجلاه ، هكـذا من يدخل على امـرأة صاحبـه ، كل من يمسها لا يكـون بريئـا ، لا تستخفّون بالسارق ولو سرق ليشبع نفسه وهو جوعان» (أمثال : الإصحاح السادس : من ٢٧إلى ٣٠) .

٤ـ النهى عن الغش وعن التكبروالأمر بالتواضع :

«مـوازين غش مكرهـة الرب والـوزن الصحيح رضاه ، تأتى الكبـرياء فيأتى الهـوان ، ومع المتواضعين حكمة» (أمثال : الإصحاح الحادى عشر: ١و ٢) .

٥ـ مخاطبة الناس بالقول اللين :

«الجـواب اللين يصـرف الغضب ، والكلام المـوجع يهيج السخط» (أمثـال : الإصحـاح الخامس عشر: ١) .

٦ـ التوكل على الله :

«ومن يتكل على الرب فطوبى له» (أمثال : الإصحاح السادس عشر: ٢٠) .

٧ـ كظم الغيظ :

«البطئ الغضب خير من الجبار، ومالك روحه خيـر ممن يأخذ مدينة» (أمثال الإصحاح

السادس عشر: ٣٣).

٨ـ النهي عن شهادة الزور وعن الكذب :

«شاهد الزور لا يتبرأ، والمتكلم بالأكاذيب لا ينجو» (أمثال: الإصحاح التاسع عشر: ٥)

٩ـ النهي عن شرب الخمر :

«الخمر مستهزئة المسكر عجّاج ومن يترنح بها فليس بحكيم» (الأمثال الإصحاح العشرون: ١) . و «لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس» (أمثال: الإصحاح الثالث والعشرون: ٣١).

١٠ـ النهي عن أكل مال الضعيف :

«لا تسلب الفقير لكونه فقيرا ولا تسحق المسكين فى الباب لأن الرب يقيم دعواهم ويسلب سالبى أنفسهم» (أمثال الإصحاح الثانى والعشرون: ٢٢و ٢٣).

١١ـ غض البصر :

«عيناك تنظران الأجنبيات وقلبك ينطق بأمور ملتوية وتكون كمضطجع فى قلب البحر أو كمضطجع على رأس سارية» (أمثال: الإصحاح الثالث والعشرون: ٣٤).

١٢ـ عدم الاطمئنان إلى الغد إلا بإذن الله :

«لا تفتخر بالغد لأنك لا تعلم ما يلده يوم» (أمثال: الإصحاح السابع والعشرون: ١).

وجميع ما تضمَّنت هذه النصوص قد تضمَّنته بعض آيات القرآن العظيم على ما يبين من الآتى:

١ـ فى مخافة الله وبرّ الوالدين :

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾

[النساء: ٣٦].

و:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]

٢- الأمر بالعمل بالشريعة وبتقوى الله وفعل الخير:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

[النحل: ٣١]

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

[المائدة: ٤٤].

٣- النهي عن الزنا وعن السرقة:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

[الأعراف: ٣٣]

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

[الإسراء: ٣٣]

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[البقرة: ١٨٨]

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ۗ﴾

[المائدة: ٣٨].

٤ـ النهى عن الغش والتكبر والأمر بالتواضع :

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

[المطففين : من ١ إلى ٣]

و:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾

[النساء : ٣٦]

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾

[الحجر : ٨٨].

٥ـ مخاطبة الناس بالقول اللين :

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾

[البقرة : ٢٦٣]

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾

[الإسراء : ٥٣].

٦ـ التوكل على الله :

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾

[آل عمران : ١٥٩].



٧- كظم الغيظ :

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران : ١٣٤].

٨- النهى عن شهادة الزور وعن الكذب :

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ٧٢﴾ [الفرقان : ٧٢]

و :

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة : ١٠].

٩- النهى عن شرب الخمر :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٩٠﴾

[المائدة : ٩٠].

١٠- النهى عن أكل مال الضعيف :

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ٢﴾ [النساء : ٢]

و :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾ [النساء : ٢٩].

١١ـ غض البصر :

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

[النور: ٣٠و ٣١].

١٢ـ عدم الاطمئنان إلى الغد إلا بإذن الله :

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾

[الكهف: ٢٣و ٢٤].

٣٧ ـ محمد عليه الصلاة والسلام فى نبوءات أشعياء :

يكاد سفر أشعياء أن يكون فى مجموعه ـ فيما خلا بعض روايات الأحداث ـ مجموعة من النبوءات، منها ما يرى فيه أهل الكتاب من يهود ونصارى إنه تنبؤ بميلاد المسيح عليه السلام وهو قوله: «ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل، زبدا وعسلا يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير» (أشعياء : الإصحاح السابع: ١٤و ١٥). وقد كان إيمان من آمن بالمسيح عليه السلام من اليهود اقتناعا منهم بأنه النبى الذى تنبأ بمولده أشعياء فى هذا النص من سفره، لكونه ولد من عذراء ولما تحقق على يديه بإذن الله من المعجزات التى أخبر عنها أشعياء، وكان كفران سائر اليهود دعوته وإنكارهم أنه المسيح الذى تنبأ به أشعياء مستندا ـ فى قولهم ـ إلى عدم ظهور «إيليا» ـ وهو علامة على مجيئه ـ قبل بعثه، وهو ما أنكره عليهم المسيح عليه السلام مخبرا أنه يوحنا المعمدان «يحيى بن زكريا عليه السلام» ، فقد جاء فى إنجيل لوقا : «كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، كما هو مكتوب فى سفر أقوال أشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة» (لوقا : الإصحاح الثالث : من ٢ إلى ٤).

وقد ورد فـى سفر أشعيـاء العديد مـن النبوءات التى تبشـر بمولـد رسول الله محمـد عليه الصلاة والسلام، وببعثه رسولا يهدى للحق وللدين الذى بعث به، نجتزىء منها الآتى :

٣٧ـ ١ـ النبوءة الأولى:

جاء فى سفـر أشعياء قولـه : «لأنه هكذا قـال لى السيد، اذهب أقم الحارس ليخبـر بما يرى، فـرأى أزواج ركاب فرسـان، ركاب حمير، ركـاب جمال، فأصغى إصغاء شـديدا، ثم صرخ كأسـد أيها السيد أنـا قائم على المرصـد دائما فى النهار وأنـا واقف على المحرس كل الليالى، وهـو ذا ركاب من الرجال أزواج من الفـرسان. فأجاب وقـال سقطت، سقطت بابل وجميع تمـاثيل آلهتهـا المنحـوتـة كسـرهـا إلى الأرض» (أشعيـاء الإصحـاح الحـادى والعشرون : من ٦ إلى ٩).

وفى هـذا القول تنبـؤ ببعثة نبيين رسـولين أحدهمـا يدخل مـدينته راكبـا حمارا، والآخـر يـدخلها على جمل، وقـد دخل المسيح عليـه السـلام أورشليم على حمار: «حينئـذ أرسل يسوع تلميذين قائلا لهما اذهبا إلى القرية التى أمامكما فللوقت تجدان أتانًا مربوطة وجحشا معها فحلاهما وائتيـانى بهما، وإن قال لكما أحد شيئا فقولا الـرب محتاج إليهما، فللوقت يرسلهما، فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بـالنبى القائل قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتـان» (إنجيل متى : الإصحاح الحادى والعشرون : من ١ إلى ٥)، كذلك فقـد دخل محمد عليه الصـلاة والسلام يثرب على نـاقته القصواء» وبدعـوته تحطمت الأصنام والتماثيل التى كانت تعبد من دون الله. فيكـون الرسولان اللذان تنبأ أشعياء بهما هما المسيح عيسى ابن مريم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

٣٧ـ ٢ـ النبوءة الثانية :

وجاء فى سفر أشعيـاء قوله : «فى الوعر فى بـلاد العرب تبيتين يا قوافل الـددانيين، هاتوا ماء لمـلاقاة العطشـان يا سكان أرض تيمـاء وافوا الهـارب بخبزه، فإنهم من أمـام السيف قد هربوا، من أمـام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شـدة الحرب، فإنه هكذا قال لى السيد فـى مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيـدار، وبقية عدد قسّى أبطال

بنى قيدار تقلّ لأن الرب إلـه إسرائيل قد تكلم» (أشعياء : الإصحـاح الحادى والعشرون : من ١٣ إلى ١٧).

ومـا جاء فى هـذا القـول هـو تنبـؤ بهجـرة رسـول الله ﷺ من مكـة إلى المـدينـة المنورة، فـالدادنييـون الذين ورد ذكرهم فى النص هـم المنتسبـون إلى دادان وهو أحـد أجداد قريش من نسل إسمـاعيل عليه السلام، والوعـر من بلاد العرب هو الطريـق الذى بين مكة والمـدينـة المنورة، والأمـر الصـادر فى النبـوءة إلى أهل يثـرب (المـدينـة المنورة) بمقـابلـة المهاجرين بالطعام والشراب وبالإحسـان إليهم قد تحقق بالفعل بما كان من أهل يثرب مع المهاجرين، كـذلك وصف أشعياء المهاجرين ـــ فى نبوءته ـ بأنهم قـد غادروا أرضهم فرارا بدينهم وبعقيـدتهم وأنفسهم هربـا من ظلـم أعدائهم، وتضمنت النبـوءة وعدا بانتصـار أتباع هـذا النبى المتنبأ بـه وفنـاء المجـد الظالـم الذى كـان يظل أبنـاء قيـدار وهم كفـار قـريش المنحدرون من قيدار بن بنايوت بن إسماعيـل عليه السلام. كما تضمنت إخبارا عن نقصان عدد فرسان الكفار بعد سنة من الهجرة أو أكثر من سنة، وذلك لتشبيه هذه السنة بسنة الأجير التى يشعر بطـولها لما يناله خـلالها من مشقة. وقد تحقـق هذا إذْ قلَّ عدد فرسـان كفار مكة وأبطالهم بعد أن آمن كثيـرون منهم برسول الله ﷺ وبعد أن قُتل منهم كثيـرون فى معاركهم مع المسلمين. أما الإشارة ـ فى نهاية النبوءة ـ إلى أن هذا هو قول إله بنى إسرائيل فتعليله إنه فى الوقت الـذى تنبأ فيه أشعياء بأمر هـذا النبى لم يكن غير شريعـة موسى عليه السلام شـريعة الله، وكان الإله الـواحد الحق هو إله بنى إسرائيل أمـا غيرهم ممَّن لم يؤمنوا بشـريعة موسى عليه السلام فقـد كانوا يعبدون آلهـة أخرى مثل بعل زبول والأصنام والتمـاثيل، فجاء بيان أن هذا القول هو قول الله سبحانه وتعالى.

٣٧ـ٣ـ النبوءة الثالثة :

وجاء فى سفر أشعياء : «أنا الرب قـد دعوتك بالبر فأمسك يدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونـورا للأمم، تتفتـح عيون العمى لتخـرج من الحبس المأسـورين من بيت السجن الجـالسين فى الظلمـة. أنـا الـرب هـذا اسمى ومجـدى لا أعطيـه لآخـر ولا تسبيحى

للمنحوتات ... هو ذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبرٌ بها، قبل أن تنبت أنا أعلمكم بها. غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكن فيها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر، الرب كالجبار يخرج، كرجل حروب ينهض غيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه ... يخزى خزيا المتكلمون على المنحوتات، القائلون للمسبوكات أنت آلهتنا» (أشعياء: الإصحاح الثاني والأربعون: من ٦ إلى ١٧).

وهذا القول يتضمن الإخبار بنبوءتين تتاليان، إحداهما هي الأقرب تحققا في الزمان من تاريخ الإبلاغ وقد شملتها الآيات من ٦ إلى ٨، وهي النبوءة الخاصة بالمسيح عليه السلام دعاه الله بالبر وحفظه وجعله عهدا للشعب أي لبني إسرائيل، وهو ما يعني وصف المسيح عليه السلام دعوته - في البداية - بأنها لهداية بني إسرائيل ثم إن الله جعله نورا للأمم، وفي ذلك إشارة إلى قيام المسيح عليه السلام بتوجيه تلاميذه قبل رفعه ليبشروا الأمم برسالته على ما جاء في الإنجيل «وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مرقس الإصحاح السادس عشر: ١٥). وبعد ذلك يعلن أشعياء صراحة أن ما أخبر عنه آنفا هو الأسبق تحققا في عمر الزمان وأنه سيتبعه ما هو مخبرٌ عنه «هو ذا الأوليات قد أتت، والحديثات أنا مخبرٌ بها قبل أن تنبت أعلمكم بها». أما هذا الذي يخبر به متنبئا فهو مجيء تسبيحة جديدة يرتفع بها الصوت من أرض قيدار. و إذا علمنا أن قيدار هو ابن بنايوت ابن إسماعيل عليه السلام وأن أرضه هي مكة المكرمة وأن التسبيحة الجديدة التي ترتفع بها الأصوات هي الأذان يعلن به عن مواعيد الصلاة، إذا علمنا هذا فإنه يتأكد لنا أن النبوءة إنما تتعلق برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، فإذا أضفنا إلى ذلك ما ذكره أشعياء بشأن الهتاف باسم الله وبتمجيده من فوق رؤوس الجبال وهذا وصف لتهليل المسلمين وتكبيرهم في الحج لدى الوقوف بجبل عرفات، فإنه يكون محققا لدينا أن الدين الذي بشر به أشعياء هو الإسلام وأن النبي المبشر به في النبوءة هو محمد عليه الصلاة والسلام الذي وصفه أشعياء بأنه رجل حرب يقوى على أعدائه، وقد كان هذا هو حال المصطفى عليه الصلاة

والسلام الذى تم به القضاء على عبادة الأصنام فى أرض رسالته كما جاء فى النبوءة.

٣٧-٤ - النبوءة الرابعة :

وجاء فى ذات السفر: «ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد، أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب، أوسعى مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك. لا تمسكى، أطيعى أطنابك وشددى أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين و إلى اليسار، ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة. لا تخافى لأنك لا تخزين، ولا تخجلى لأنك لا تستحين، فإنك تنسين خزى صباك، وعار ترملك لا تذكرينه بعد. لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى ... أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هأنذا أبنى بالإثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك، وأجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة، وكل بيتك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرا. بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك. ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندى، من اجتمع عليك فإليك يسقط. ها أنذا قد خلقت الحدَّاد الذى ينفخ الفحم فى النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب. كل آلة صورت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وبرّهم من عندى يقول الرب» (أشعياءالإصحاح الرابع والخمسون: من ١ إلى ١٧).

وفى معنى هذه النبوءة فإننا نعلم أن الأنبياء يتكلمون فى نبوءاتهم بالرمز والمثال فإذا ما تدبرنا هذا القول وعلمنا أحوال البلاد والعباد من قبل زمان هذه النبوءة إلى اليوم فإننا ندرك الآتى:

(١) إن العاقر التى لم تلد - المذكورة فى النبوءة - هى مكة المكرمة، وصفت بأنها عاقر لأنها لم تخرج من بعد إسماعيل عليه السلام الذى جاءها طفلا مع أمه هاجر دون أن يكون قد نبت بها إلى زمان النبوءة أنبياء، وإسماعيل عليه السلام هو ابن المستوحشة [(١)] التى هجرها زوجها، ونسله هم العرب العدنانيون فهم - فى النبوءة - أبناء المستوحشة الذين

---

(١) جاء فى وصف إسماعيل عليه السلام فى التوراة أنه يكون إنسانا وحشيا (تكوين: الإصحاح ١٦ : ١٢).

ذكرتهم النبوءة بأنهم يصيرون أكثر من بنى «ذات البعل» وهى سارة التى بقى معها إبراهيم عليه السلام، ومن أبنائها بنو إسرائيل. والمعنى إن وصف مكة بالعاقر قد جاء فى مقارنة مستترة بالقدس أو أورشليم التى أنجبت الأنبياء. وقد بشرت النبوءة مكة أو العاقر بأنها تمتد يمينا وشمالا وبأن أبناءها سيرثون أمما ويعمرون مدنا خربة، وذلك فى بشارة بانتشار الدين الذى تبدأ دعوته فى مكة لتنتشر فى أنحاء العالم فتعمر به النفوس الخربة بجهالة الكفر والشرك، وفى النبوءة طلب من مكة أن تسبح الله وتحمده على ما أولاها من نعمة كونها أم المبعوث رحمة للعالمين.

(٢) إن القول ـ فى النبوءة ـ إن بعل العاقر هو صانعها رب الجنود اسمه، وإنه يدعى ـ من بعد ـ إله كل الأرض، إنما يعنى إن راعى مكة هو خالقها الله الذى كان اليهود يسمونه «رب الجنود» فى تمييز بينه وبين ما تعبد سائر الشعوب من آلهة، كذلك فإن قول النبوءة إنه سيدعى «إله كل الأرض» يتضمن الإشارة إلى عالمية الدعوة للدين الذى يظهر نبيُّه من مكة فلا يعود الرب إله بنى إسرائيل وحدهم وإنما إله جميع الخلق المعبود فى جميع أنحاء الكون.

(٣) ـ تشير النبوءة إلى الكعبة المشرفة وإلى إعادة بنائها وإلى قدوم المؤمنين بالدين الذى يظهر نبيُّه فى مكة فى كثرة إليها، والذين تصفهم النبوءة بأنهم أبناء الرب. وهذا هو حال حجاج بيت الله الحرام والمعتمرين وزائرى البيت، كما تشير النبوءة إلى ما سيكون عليه حال مكة من تحريم دخولها على الكفار والمشركين.

(٤) ـ تطمئن النبوءة مكة والكعبة المسجد الحرام بحماية الله، وبأنه سيكون اجتماع القوة المادية عليها فيسقط من اجتمعوا عليها، وذلك ما كان ـ من بعد ـ من أمر أبرهة وجيشه حين أراد هدم الكعبة، وبأنه سيكون هناك محاجاة بالقول وهجوم على الدين الذى يبعث نبيه من مكة بالكتابة وبالمشافهة وبوسائل الإعلام المختلفة، وسيكون النصر لدين الله الذى

يتمسك به المؤمنـون ، وذلك على ما يبين من قول النبوءة «كل آلهـة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندى يقول الرب».

٣٥-٥- النبوءة الخامسة :

وجاء أيضا فى سفر أشعياء : «قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك ، لأنـه ها هى الظلمـة تغطى الأرض والظلام الـدامس الأمم ، أما عليك فيشـرق الرب ومجـده عليك يرى ، فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك . ارفعى عينيك حواليك وانظرى قد اجتمعـوا كلهـم ، جاءوا إليك ، يأتـى بنوك من بعيد وتحمـل بناتك على الأيـدى . حينئذ تنظرين وتنيـرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثـروة البحر ويأتى إليك غنى الأمم ، تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلهـا تأتى من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب ، كل غنم قيـدار تجتمع إليك ، كباش بنايـوت تخدمك ، تصعد مقبولـة على مذبحى وأزيِّن بيت جمالى . من هؤلاء الطائرون كسحاب وكـالحمام إلى بيوتها ، إن الجزائر تنتظرنى وسفن تـرشيش فى الأول لتأتى ببنيك من بعيـد وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الـرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك» (أشعياء : الإصحاح الستون : من ١ إلى ٩).

وسبحان الله العظيم ليس هناك وصف أدق وأوضح لحال مكة المكـرمة والكعبة المشرفة وقت أداء المسلمين فريضة الحج من هـذا الوصف الذى ذكره أشعياء عـام واحد وسبعمائة قبل الميلاد ، وهو وصف لحالها منذ أظهر الله دينـه إلى اليوم وإلى آخر الزمان . فبينما يخيم ظلام الشـرك والفكر المـادى على دول العالم فيكون ظلم القـوى منها ضعيفهـا ـ وليس مثل الظلم ظلام ـ بينمـا يكون هذا هو حال العالم يكـون الأمر على خلافه فى مكة المكـرمة عند بيت الله الحرام وقت الحج ، حيث يُلبِّى المؤمنون الدعوة بـالحج فيملأ أركانها النور ـ وليس مثل نور الإيمان نور ـ يمجدون الله ، ومنهم الملـوك والرؤساء يتساوون ورعاياهم لا يستنيرون إلا بنـور الله وبنور الإيمـان . ثم يصف أشعياء حـال الحجيج فيقول إنهم قـد أتوا من أمـاكن بعيدة ، وهم مـن الكعبة المشرَّفـة بيت الله بمنزلـة الابن من أمه ــ على ما جـرى عليه وصف

المؤمنين فى العهد القديم بأنهم أبناء الله ــ فيكون لمكة المكرمة ـ مهد الرسالة ــ أن تفرح بقدوم الحجيج من أقاصى الأرض معهم الأموال والبضائع فيكون فى الحج أداء الفريضة وتمجيد الله كما يكون فيه تحقيق المصالح المادية والمالية «كلها تأتى من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب» وهو ما صدق به القرآن العظيم فى قوله تعالى:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الحج: ٢٧و ٢٨].

ويقطع بأن نبوءة أشعياء تعلقت بحال مكة المكرمة وقت الحج وصفه ما يكون من إحضار أغنام قيدار ــ وهو على ما علمنا حفيد إسماعيل عليه السلام جد العرب العدنانيين ـ وكذا ما يكون من التضحية بكباش بنايوت ـ وهو على ما علمنا ابن إسماعيل عليه السلام ـ وقد ذكرت نبوءة أشعياء أن هذه الكباش وتلك الأغنام تصعد مقبولة إلى مذبح الرب، وذلك فى تعبير عن نحر الأضاحى فى الحج من بعد الصلاة. وعلى هذا فإن النبوءة تعلن أن مسرح هذه الأحداث هو أرض أبناء بنايوت وأبناء قيدار من جزيرة العرب وليس أرضا غيرها، ثم إن النبوءة تبلغ ذروة الدقة عندما تصف كيفية حضور الحجيج من جميع أنحاء العالم قريبها وبعيدها إلى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج، فتقول إن منهم من يأتى طائرا ـ وجاء هذا القول فى وقت لم يكن فيه أحد يتخيل أنه ستكون هناك طائرات تستخدم فى التنقل ـ وأن منهم من يأتى بطريق البحر، ومنهم من يأتى بطريق البر راكبا أو راجلا «من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها، إن الجزائر تنتظرنى، وسفن ترشيش فى الأول لتأتى ببنيك من بعيد» ثم توضح النبوءة أن حجاج بيت الله الحرام قد أنفقوا الأموال من أجل أداء فريضة الله الذى أكرم مكة بظهور رسوله عليه الصلاة والسلام منها وعظم بيته، وهو الله

الحق الذى بارك إسرائيل (يعقوب) عليه السّلام من قبل .

٣٨ـ محمد عليه الصلاة والسلام فى نبوءة حبقوق :

جاء فى سفر حبقوق : «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران، جلاله غطى السماوات والأرض امتلأت من تسبيحه» (حبقوق : الإصحاح الثالث : ٣).

وهذه النبوءة تذكر واقع نزول الشريعة اليهودية على موسى عليه السلام فى سيناء (أرض تيمان) وتعلم بنزول القرآن على رسول الله ﷺ فى مكة ـ وهى برية فاران ـ وأنه بظهور دين الحق الذى ينبلج نوره من مكة المكرمة تتحقق عبادة الله وتمتلىء الأرض بالتسبيح له .

●*●*●*●*●

الفصـــل الثالث

الإسلام ورسوله فى كتاب المسيح

٣٩ـ المسيح عليه السلام فى التاريخ الوضعى :

يـرى المؤرخـون العرب أن ميـلاد المسيح عيسى ابن مـريم عليه السـلام كان سنـة أربع وثلاثمـائة من سنة انتصـار الإسكندر الأكبـر على دارا ملك الفـرس ، وأن أمه مريـم العذراء حملت به عنـدما بلغت الثـالثة عشـرة من عمرهـا . وسنة المـيـلاد هذه تـوافق السنة الـرابعة والثلاثين من تاريخ اعتلاء أغسطس حكم روما ، والسنة الثانية والعشرين من تاريخ انتصاره على كليوباترا ملكة مصر وأنطونيو حليفها فى معركة الإسكندرية . ومريم الصديقة العذراء أم المسيح عليه السـلام هى ابنة عمران من زوجـه «حنة» ، وكـانت «حنة» عاقـرا لا تلد وتمنت على الله أن يكون لهـا ولد ، ونـذرت إن رزقها الله ولدا أن تجعلـه من سدنـة بيت المقدس ، وحملت بمـريم وتوفى زوجهـا قبل أن تضع حملها ، فلمـا وضعتها دعت اسمها « مـريم» ـ ومعنى الاسم العـابدة ــ وقدمتهـا إلى الأحبار والكهنـة وأعلنتهم أنها منـذورة لمعبد الـرب ، فتنافس فى كفـالتها الأحبار غير أن زكـريا ـ وكـان من رؤسائهم ـ أعلنهم أنه الأحقُّ بكفـالتها لأنه زوج خالتها إيساع[1] وأخذها لتربِّيهـا زوجه ، ثم إنها لما كبرت أفرد لها زكـريا غرفة فى المعبـد تتعبَّد فيهـا ، وأرسل الله إليهـا جبريل عليـه السـلام فنفخ فيهـا فحملت ـ بأمـر الله ـ بعيسى عليه السلام ، وولدته فى قرية «بيت لحم» القريبة من القدس . وأخذت مريم وليدها إلى مصر يرافقها ابن عمها يوسف بن يعقوب بن متَّان وشهرته يوسف النجار لأنه كان يحترف النجارة وكان قد خطبهـا له زوجة ، وقد مكث الثلاثة فى مصـر اثنتى عشرة سنة ثم عادوا إلى فلسطين ونزلوا «النـاصرة» ، وبالناصـرة أقام المسيح عليه السلام حتى بلغ من العمـر ثلاثين سنة فسار إلى الأردن إلـى نهر الغور[2] فتم تعميده ، عمَّـده يحيى بن زكريا عليـه السلام[3] وذلك فى السابع من شهـر يناير من عام أربع وثـلاثين وثلاثمائة من سنة انتصـار الإسكندر

---

(١) هى اليصابات فى إنجيل لوقا . (٢) كان يسمى نهر الشريعة . (٣) هو يوحنا المعمدان فى الأناجيل .

الأكبر على دارا ملك فارس . وقـد بدأ المسيح عليه السلام من هذا الـوقت يعلن الدعوة لله ويظهر المعجـزات التى أظهرها الله على يـديه لنـزول الإنجيل عليه وحيًا من الله ، كمـا أنزل سبحانـه وتعالى عليـه المائدة استجـابة لطلب حوارييـه الاثنى عشر عليهـا سمكة مشـوية وبعض البقول ــ فيما خـلا الكراث ـ وملـح وخل وخمسة أرغفة عليهـا زيتون ورمـان وتمر، فأكل من هذه المائدة خلق كثيـر دون أن تنقص . وكان منه عليه السـلام أنه لما علم من الله أنه صاعـد إليه أن دعا الحواريين إلى طعام فلمـا فرغوا منه قام يغسل أيـديهم ليكون لهم فيه أسوة حسنـة فيخدم بعضهم بعضا ، ثم أعلمهم أن أحـدهم سيكفر بـه فينكره قبل أن يصيح الديك ، وأن أحدهم سيبيعه بدراهم معدودة فيأكل ثمنـه ، وكان قد صادف هذا سعى اليهود فى طلبـه للإيقـاع به ، فكـان من أحد حـوارييه أن ذهب إلى اليهـود وإلى هيرودس حـاكم الجليل عارضـا أن يدلَّ على المسيح مقـابل أجر فأعطـوه ثلاثين درهمـا ، فلما ذهب معهم ليدلهم عليه وسألوا عنه أحد تلاميذه أنكـر معرفته إياه ثم أذَّن الديك فعلم أنه كان المقصود بما أخبر به المسيح عليه السلام ، ثم ألقى الله شبه المسيح على من أزمع أن يدل عليه فأخذه القوم بدلا منه ورفع الله المسيح عليه السلام إلى السماء وجرى صلب الخائن الذى اختار أن يدل عليه بعـد أن طلب اليهود ذلك من بيلاطس حاكم اليهودية ، ودفن فى قبـر كان يوسف النجـار قـد أعـده لنفسـه ، وأعقب ذلك ظهـوره عليه السـلام لأمـه العـذراء ــ وقيل لمـريم المجدليـة ــ ثم لتلاميذه وطلب منهم أن يتوجهـوا بالدعـوة إلى الله إلى باقى الأمم [1]. وقد كان رفع المسيح عليه السلام سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة من تاريخ انتصار الإسكندر الأكبر على دارا ملك فارس ، قبل نحـو خمس وأربعين وخمسمائة سنـة من مولد رسـول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، وبعد موت أغسطس بثـلاث وعشرين سنة فى نهاية السنة الأولى من حكم جانيـوس امبراطور رومـا . وقد عاشت أمـه عليه السـلام مريم العذراء بعـد رفعه ست سنوات ومـاتت وعمرها ثـلاث وخمسون سنة إذْ كـان مبدأ حملهـا به لما بلغت ثـلاث عشرة سنة ، وعاشت فى حياتـه ثلاث وثلاثين سنة ، وبعد وفاتـه ست سنوات فيكون مجموع ذلك ثلاثا وخمسين سنة .

---

(١) إسماعيل أبو الفدا : تاريخ أبى الفدا ، المرجع السابق، المجلد الأول ، ص ٣٨ .

٤٠ـ المسيح عليه السلام فى القرآن العظيم :

٤٠ ـ ١ ـ الحمل به وولادته : حملت بـه أمه العـذراء البتـول مريـم ابنة عمـران التى اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العـالمين ـ بأمر الله الذى جعل لذلك سببا ظاهرا هنو نفخة من الروح القدس. هذا ما يثبته قوله تعالى :

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء: ٩١]

وقوله تعالى :

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

[التحريم: ١٢]

وقوله تعالى :

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

[آل عمران: من ٤٥ إلى ٤٧]

ويبيّن القرآن العظيم أنـه إذا كان خلق المسيح عليه السلام فى رحم أمـه العذراء من غير رجل هـو من قبيل المعجزات، فإنـه قـد سبقته معجـزة خلق آدم عليـه السلام بأمـر الله من التراب وذلك بقوله تعالى :

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾

[آل عمران: ٥٩].

٤٠ ـ ٢ ـ طبيعته: هو بشر، له بحكم طبيعته البشرية ما للبشر من حاجات، منها الضرورى مثل أكل الطعام، شاءت إرادة الله أن يكون رسولا مختارا لرسالة من رسالات الله.

وفى هذا يقول سبحانه وتعالى:

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٧٥﴾

[المائدة: ٧٥].

وهو رسول الله وكلمته وروح منه. وفى هذا يقول سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾

[النساء: ١٧١]

فهو رسول الله اختصه بالنبوة وبرسالة من رسالاته، وهو كلمة من كلمات الله التى لا نهاية لها ولا لعددها اللانهائى كما يبين من قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧﴾

[لقمان: ٢٧]

وهو كلمة من كلمات الله التى لا تتبدل، فهو بشرٌ منذ خُلق فى رحم أمه، اختاره الله رسولا نبيا، بعثه وقت شاءت مشيئته سبحانه وتعالى، ورفعه إليه وقت قدَّر ذلك، وسينزله قبل فناء العالم ليدعو لله ولرسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ثم ليتوفاه وفق ما شاءت إرادته سبحانه وتعالى وقدَّر فى أم الكتاب منذ البدء مما لا تبديل فيه على ما يثبته قوله تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾

[يونس : من ٦٢ إلى ٦٤]

وهو كلمة من كلمات الله التي يكون إلقاؤها فعلا نافذا على ما يبين من قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾

[النحل : ٤٠]

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

[يس: ٨٢ و ٨٣].

وهو روح من الله ، إذ كان خلقه كمادة تدب فيها الحياة بنفخة من الله شبيهة بنفخته سبحانه وتعالى فى الطين التى أوجدت آدم عليه السلام على ما يبين من قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

[الحجر: ٢٨ ـ ٢٩].

وهو عبد أنعم عليه الله وكرّمه . فهو بحكم بشريته وكونه مخلوقا ـ عبدٌ من عباد الله عابديه وعبيده على ما يبين من قوله تعالى :

لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

[النساء : ١٧٢].

وهو من عباد الله الذين أنعم الله عليهم باصطفائهم فكان نبيا رسولا على ما يبين من قوله تعالى :

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

[الزخرف : ٥٩].

وهو من عباد الله الذين أنعم الله عليهم بالتكريم وبالقرب منه على ما يبين من قولـه تعالى :

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[آل عمران : ٤٥]

وهو من الأنبياء الذين أنعم الله عليهم بأن أتاهم البينات التى كان منها أن يصنع من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيصير طيرا بإذن الله ، وأن يبرىء المرضى الذين يعـزُّ برؤهم على المداوين كالأكمه والأبرص ، وأن يحيى الموتى ويخبر مستمعيه بما يأكلون وبما يحفظون فى بيوتهم ، وهو رسول أنعم الله عليه بتأييده إياه بروح القدس وذلك على ما يبين من قوله تعالى :

وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ

[البقرة : ٨٧]

وقوله تعالى :

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾

[البقرة: ٢٥٣].

٤٠ـ٣ـ رسالته : هي ـ في المقام الأول ـ الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته وعدم الشرك به كما يبين من قوله تعالى :

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾

[المائدة : ٧٢]

وقوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾

[المائدة: ١١٦ و ١١٧].

ومعنى هذا أن رسالة المسيح عليه السلام كانت متعلقة بالعقيدة فقط ، فهي في شأن الشريعة وما تتضمنه من أوامر ونواهٍ تنظم نواحي الحياة بين الأفراد في المجتمع وبين المجتمعات بعضها والبعض لم تتضمن شيئا وإنما أمرت باحترام شريعة موسى وتطبيقها . ومعلوم أن كل ما يتعلق بالعقيدة يتصف بالثبات وعدم التغيير، فما أعلنه آدم عليه السلام لبنيه، وما أحياه وذكَّر به إدريس عليه السلام، وما أعلنه الخليل إبراهيم عليه السلام والنبيون

جميعا بشأن العقيدة ـ وجوهرها الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك بـه ـ واحدٌ لا تبديل له ، هو الحنيفية أو الإسلام بمعناه العام، به بشَّر الأنبياء والرسل من اعتنقه حسن العاقبة وأنذروا من أعرض عنه سوء العاقبة كما يبين من قوله تعالى :

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ★ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء : من ١٦٣ إلى ١٦٥].

وعلى هذا يمكن القـول إن الشرائع التى أنزلها الحـق سبحانه وتعالى ثـلاث، أولاها التى أنزلت على نوح عليه السلام، وفيها لم يكن من أصنـاف الطعام شىء محرما أكله ، فكل ما تنبت الأرض من عشب وزرع وكل ما يدب على الأرض من كائن لـه روح حلال أكله، وهذه الشريعة قـد أُنسيت . وثانية هذه الشرائع هى شـريعة موسى عليه السـلام، وقد نسخت منها الشريعة الإسلامية ثالثة الشرائع وختامها ما نسخت لتكون الشريعة الإسلامية هى القائمة إلى أن تقوم الساعة . ويقول الحق سبحانه وتعالى فى شأن الشرائع وما أُنسِىَ منها وما نسخ :

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ﴾

[البقرة: ١٠٦].

ويبين من واقع إنه لم يكن مذكورا غير منسيٍّ من الشرائع قبل شـريعة الإسلام غير شريعة موسـى عليه السلام إن رسـالة المسيـح عليه السلام لـم تتضمَّن الإتيان بشـريعة جـديدة؛ ولذلك فإن الجن الـذين سمعوا القـرآن لم يذكروا إنجيل المسيح عليـه السلام عندمـا أبلغوا قومهم أمر ما سمعوه كما جاء فى قوله تعالى :

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [الأحقاف ٢٩ و ٣٠].

وقد كان طبيعيا أن تكون رسالة المسيح عليه السلام ـ وهى الدعوة إلى تجديد الحنيفية ـ وأن تكون عظاتـه وأقواله مستهدفة تنقيـة العقيدة مما شابها من بهتـان أكثره من فعل الأحبار الذين غـالوا فى تحريم مـا أحل الله اعتقادا منهم أن فى ذلك زيادة فى الإيمـان والتقرب إلى الله، فجاء المسيح عليه السلام ليعلنهم عدم موافقة تحـريم بعض ما قيل بتحريمه للشريعة اليهودية أو شـريعة موسى عليه السلام ، فكـان وصفه نفسه وفعله ـ على مـا جاء فى القرآن العظيم ـ بقوله :

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

ويلاحظ أنه قد ورد الفعل « حرِّم» فى هـذه الآية فى صيغة المبنى للمجهول للتدليل على أن التحريم لم يكن من الله ، أو إنه لم يكن حكم شريعة موسى عليه السلام، وإنما كان من فعل أحبار اليهود. كذلـك كان قد شاب الشريعة بعض أفكار الفـريسيين والصدوقيين فكان طبيعيا أن يكـون من المسيح عليـه السلام ــ وقد علمه الله الكتـاب أو التوراة أن يجـدِّد لبنى إسرائيل العلم بصحيح العقيدة وأن يبيِّن لهم الصالح من الأعمال والطالح دون أن يكون فعله هذا تشريعا.

٤٠ ـ ٤ ـ رفعه وموته : مقتضى الإقرار بالطبيعة البشرية للمسيح عليه السلام هو التصديق بخضوعـه لما يخضع لـه البشر مما قـدَّر عليهم المولى سبحانـه وتعالى من أحكـام أخصُّها «الموت»، إذْ يقول سبحانه وتعالى :

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾

[آل عمران : ١٨٥].

وفى شأن موت المسيح عليه السلام يقول سبحانه وتعالى :

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ [آل عمران : ٥٤ و ٥٥]

ويقول ـ فى بيان كلام المسيح عليه السلام وهو فى المهد :

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ۝٣٣﴾

[مريم : ٣٣]

ويقول فى وصف قول اليهود إنهم قتلوه :

﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ۝١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ۝١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ۝١٥٩﴾ [النساء : من ١٥٦ إلى ١٥٩].

ومن جماع هذه الآيات يبين الآتى :

١ ـ إن حكم الله المثبت من الأزل أن تنتهى حياة الأنفس على الأرض بالموت، ونفاذا لهذا الحكم المقدّر فإن المسيح عليه السلام ـ شأنه شأن الناس جميعا ـ سيذوق الموت.

وأن المسيح عليه السلام أخبر صادقا أنه سيموت .

٢ ــ إن معنى الموت هـو مفارقـة الروح الجسـد، ومن الوسـائل التى يتحقّق بها المـوت القتل، بما يعنى أنه قد يقع الموت دون أن يكون بطريق القتل .

٣ ــ إن هناك اختـلافـا فى المعنى بين الفعل «مـات» وبين الفعل « وفّى» سـواء استعمل مجردا أم استعمل مـزيدا، وكـذا بين مشتقات كل منهمـا ومشتقات الآخر. فـإذا كان الفعل «مات» يفيـد دائما معنى مفـارقه روح الحى جسده، فإن الفعل «وفّـى» يعنى « تمَّ»، فيقال «وفى الشيء» بمعنى تمَّ، والفعل وفّى بتشديـد الفاء يعنى « أوفى » فيقال « وفّى فلانـا حقه » بمعنى أوفاه حقـه أو سدَّده إياه تامـا، ويقال « استوفى فـلان حقه » بمعنى أخذه وافيا تـاما، وعلى هذا فإنـه إذا كان معنى « الـوفاة » هـو « الموت» وكان يقـال «توفى الله فـلانا » بمعنى قبض روحـه فإن ذلك إنما كـان لـدلالة لفظ «الـوفـاة» أو الفعل «توفى» على معنى استيفـاء المخلوق أيامه المقدرة فى الدنيـا مما لا يكون بعده إلا الموت، وذلك دون المساس بمعنى اللفظ وجواز استعماله للتعبير عن معناه الأصلى .

٤ ـ إن القرآن العظيم يثبت أن المسيح عليه السلام سيمـوت فى يوم من الأيام كما يموت جميع البشر، لكنه يثبت أنه عندما تآمر عليه اليهود ليأخذوه ويقتلوه بمكرهم فإن الله سبحانه وتعالى أعلمه أنه قد أوفاه أيامه معهم على الأرض فى زمانهم هذا وذلك بقوله تعالى :

إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

[آل عمران : ٥٥]

ويثبت فشل اليهود فى تحقيق هدفهم وهو قتله بقوله تعالى :

وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

[آل عمران : ٥٤]

وأعلمه الله أنه سيكون من بعد استيفائه أيامه فى الدنيا فى زمان المتواطئين على قتله رفعه إليه، وذلك فى تـدليل على أنه لن يكون الموت الـذى هو نهاية استيفاء كل حـى أيامه على

الأرض وإنما سيكون الرفع إلى الله ، كذلك فإن القرآن العظيم يثبت زيف قول اليهود إنهم قتلوا المسيح عليه السلام وعدم موافقته صحيح ما كان ، فيقرر النص القرآني أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه ولكن هيىء لهم أنهم فعلوا ذلك حين اشتبه الأمر عليهم فأخذوا شبيها له صلبوه على أنه المسيح . مؤكدا أنهم لم يقتلوه وإنما رفعه الله إليه . ثم يخبرنا القرآن العظيم أن المسيح عليه السلام لن يموت إلا بعد أن يؤمن أهل الكتاب الذين أنكروا أنه المسيح المبعوث رسولا نبيا ، وهو ما سيكون في آخر الزمان ، فينزله الله ليصحح العقيدة وليدعو إلى الإسلام مخبرا أن محمدا عليه الصلاة والسلام هو النبي الخاتم الذي بشر به في بعثته الأولى ، فيؤمن له جميع أهل الكتاب قبل أن تقبض روحه ويتحقق موته شأن كل حي .

ولعله مما يؤكد هذا تدبُّر معنى كلام المسيح عليه السلام في المهد في قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾

[مريم : ٣٠ ، ٣٣] .

فقد ورد قوله : « آتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا » ورد قوله هذا مستعملا الفعل الماضي في إثبات أحداث مستقبلة ، وهذا جائز للتدليل على أن هذه الأحداث لابد واقعة في المستقبل في زمان المخاطبين ، ذلك أن المسيح لم يكن وقتذاك وهو في المهد قد أوتي الكتاب ، ولم تكن رسالته قد أعلنت إليه وكلف بها ، كما أنه لم يكن مكلفا بأداء الصلاة والزكاة كما لم يكن قادرا على أداء أي منهما ، لكن كان مقدَّرا أن يحدث هذا في زمان المخاطبين ؛ ولذلك جاءت العبارة باستعمال الأفعال في صيغة الماضي ، أما كلامه عليه السلام لدى حديثه عن موته وعن بعثه من الأموات فقد ورد فيه الفعل في صيغة « المضارع » إخبارا عن المستقبل رغم أن كلا من الموت والبعث هو أمر من المؤكد حدوثه

في المستقبل، وفي ذلك ما يوضح أن عدم استعمال الفعل في صيغة «الماضي» مرجعه عدم تحقق الموت والبعث في زمان المخاطبين، وذلك لأن موته عليه السلام سيكون في آخر الزمان وليس فيما يعاصر من الزمان مخبرا من يخاطب عما يحدث فيه من أحداث.

٤١ـ الإنجيل ـ كتاب المسيح عليه السلام ـ في القرآن :

جاء ذكر الإنجيل في القرآن العظيم في آيات متفرقات، فيقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران : ٣و ٤]

ويقول سبحانه وتعالى عنه لدى تعريفه مريم حين أعلمها قضاءه أن تحمل في المسيح عليه السلام :

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

[آل عمران : ٤٨]

ويقول في الإخبار عن بعض ما تضمّنه رسالة المسيح ودعوته إلى بني إسرائيل :

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران ٥٠ و ٥١]

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: من ٤٦ إلى ٤٨]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

[المائدة: ٦٥ و ٦٦]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ﴾ [المائدة: ١١٠]



ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾

[الأعراف : ١٥٧].

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [التوبة : ١١١]

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ [الفتح ٢٩] .

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾

[الحديد : ٢٧].

ومن جماع هذه الآيات يبين لنا أن القرآن العظيم يذكر فى شأن الإنجيل وأوصافه مايأتى :

١ ـ إن الله سبحانه وتعالى هو منزل الإنجيل ، أنزله من بعد التوراة التى أنزلها على نبيِّه موسى عليه السلام وقبل أن ينزل القرآن على رسوله سيدنا محمد ﷺ ، وإن كلا من التوراة والإنجيل كان فيه الهدى للناس بما يعنى أن من لم يؤمن بكل منهما وقت نزوله ممَّن أبلغ به يكون من أهل الضلال الذين توعدهم الله بالعذاب الشديد (على ما يستفاد من الآيتين ٣ و ٤ من سورة آل عمران) .

٢ ـ إن الله سبحانه وتعالى علَّم المسيح عليه السلام الإنجيل ، بمعنى أنه علَّمه أحكامه ، كما علَّمه الكتاب وهذا العلم يشمل ما كان من أمره فى الماضى وما يكون من شأنه فى المستقبل ، ولهذا كان تعليمه إياه التوراة وتعريفه أحكامها ، وكان تعليمه حكمة سليمان وذلك لكونهما من الكتاب فى ماضى الأيام ، وكان تعليمه الإنجيل ليعلِّمه بنى إسرائيل ، وتعريفه ما يكون من أمره فى المستقبل من تمامه بنزول القرآن العظيم . (المستفاد من قوله تعالى):

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ ٤٨

[آل عمران : ٤٨] .

٣ ـ إن الإنجيل مصدق للتوراة ، بمعنى أنه لم يتضمن أحكاما تخالف أحكام شريعة موسى عليه السلام وما جاءت به من قواعد تنظم أمور الناس والمجتمعات من المعاملات والجرائم والعقوبات وغيرها مما ينظم شئون الحياة . وإذا كان المسيح عليه السلام قد بيَّن حِلَّ بعض ما كان محرما فى زمانه على بنى إسرائيل فإن ذلك إنما كان بيانا لأحكام الشريعة الموسوية على حقيقتها ، إذ كان التحريم بآراء سقيمة للأحبار . (المستفاد من قول المسيح عليه السلام فى النص القرآنى):

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾

[آل عمران : ٥٠] .

٤ ـ إن الإيمان بالإنجيل يستوجب الإيمان بالتوراة، وذلك لأن الإنجيل لا يتضمن سوى أمور العقيدة فقط من إيمان بالله الخالق وتوحيده وعدم الشرك به، وما يرتبط بهذا الإيمان من وجوب إتيان العمل الصالح الذى يجلب رضا الله وتجنب العمل الآثم الذى يوجب غضبه؛ ولذلك وصف سبحانه وتعالى الإنجيل بأنه هدى ونور وموعظة للمتقين. أما سائر أمور الحياة وما تتطلبه من أحكام وقواعد تنظمها فإن على أهل الإنجيل أن يرجعوا إليه بداءة لمعرفة ما يتوجب عليهم فعله، فإذا ما رجعوا إليه تبيَّن لهم خلوه من مثل هذه الأحكام وأمره بالرجوع إلى كتاب موسى، فيكون بالتالى كتاب موسى أو بمعنى أدق شريعته هى الشريعة، لم ينقضها الإنجيل، وإنما يحيل طالبى الأحكام فى هذه المسائل إليها لمعرفتها وإعمالها.

وموقف الإنجيل من شريعة موسى يختلف عن موقف القرآن العظيم منها رغم أن كلا منهما يصدِّق بها، ومرجع هذا الاختلاف أن القرآن العظيم يتضمَّن ـ فضلا عن مسائل العقيدة ـ شريعة كاملة تتضمن تنظيم حياة البشر والمجتمعات مشتملة على قواعد تنظم المعاملات وتحدد الجرائم وعقوباتها والعلاقات بين المجتمعات البشرية وغيرها مما لاتخلو منه حياة البشر والمجتمعات، وبهذه القواعد والأحكام تمت شريعة الله واكتملت؛ ولذلك كان القرآن العظيم ـ رغم تصديقه بالتوراة والإنجيل ـ مهيمنا عليهما إذ كان به تمام الكتاب، وتمام الشريعة، وكمال الدين، ولهذا فإنه ـ وإن كان معتبرا من المتَّقين كل من آمن بالتوراة قبل نزول الإنجيل، وكل من آمن بالتوراة والإنجيل بعد نزول الإنجيل وقبل نزول القرآن، وكل من آمن بالكتب الثلاثة بعد نزول القرآن ـ إلا أنه يبقى اختلاف فى شأن الشريعة بين من آمن بالتوراة وحدها أو بها وبالإنجيل وبين من آمن بها وبالقرآن العظيم، وذلك لأن من آمن بالتوراة وحدها أو بها وبالإنجيل ولم يؤمن بالقرآن سيعمل بشريعة موسى وماتضمنته من أحكام، أما من آمن بالتوراة والإنجيل والقرآن فإنه

سيعمل بأحكام الشريعـة الإسلامية ، ولذلك فإنه سيكون لكل منهم شـريعة ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما هو مألوف من اختلاف أصحاب كل شريعة فيما بينهم في شأن تفسير أحكامها وفي شأن تطبيقهـا أو إنزال أحكامهـا على مايحـدث من أحداث ويقع مـن واقعات ، فإنـه يكون مؤكدا أنه محتم أن يكـون لكل منهم شرعة ـ بمعنى شريعة ـ ومنهاجـا أو مذهب ، وهذا هو المستفاد من قوله تعالى :

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة : من ٤٦ إلى ٤٨]

ويؤكد هذا قوله تعالى :

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾

[الشورى : ١٣]

بيان ذلك أن قوله تعالى :

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾

قد ورد فيه الفعل «شـرع» ـ ومعناه سَنَّ شريعة أو قـانونا ـ كما ورد فيـه حرف الجر «من» ـ وهو يفيد التبعيض ـ وهو ما يعني أنه سبحانـه وتعالى قد أنزل الشريعة التي تحكم العلاقات بين الأفـراد بعضهم والبعض ، وبينهم وبيـن مجتمعـاتهم ، وبيـن المجتمعـات بعضهـا

والبعض، وكل ما يتعلق بالأوامر والنواهى، وذلك باعتبار أن هذه الشريعة هى جزء من الدين، ويبين النص أنه أنزل هذه الشريعة على نوح عليه السلام فكانت هى الواجبة التطبيق، فلما نزلت شريعة موسى عليه السلام كانت هى الواجبة التطبيق، ثم يقول النص القرآنى:

وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ

والمقصود هو الشريعة الإسلامية التى أنزلت على رسول الله ﷺ المخاطَب بالنص، ولما كان نزول الشريعة على رسول الله ﷺ يفيد نسخ شريعة موسى عليه السلام، وكان الثابت أن شريعة نوح عليه السلام قد أُنسيت، فإن ما يكون باقيا وواجبا إعماله وتطبيقه من الشرائع يكون هو الشريعة الإسلامية، ويكون الباقى والواجب الإعمال والتطبيق مما أنزل على الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى الآية القرآنية وهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام هو الجزء الباقى من التنزيل المتعلق بالعقيدة شاملة الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، دليل ذلك أن النص القرآنى استعمل الفعل « شرع» عندما أخبر عن أولى الشرائع شريعة نوح وعن خاتمتها الشريعة الإسلامية، ولم يستعمله واستعمل الفعل « وصَّى» عندما أخبر عما هو باق واجب الإعمال مما أنزل على سائر الرسل مما مفاده تعلقه بأمور العقيدة. وعلى هذا فإن الدين الذى ارتضاه الله لعباده من بعد بعثة رسول الله ﷺ يكون مشتملا على العقيدة الصحيحة التى بعث بها جميع الأنبياء وهى الإسلام بالمعنى العام كما يكون مشتملا على أحكام الشريعة التى أنزلت على رسول الله ﷺ، وهذا هو الإسلام.

٤٢ ـ الإسلام ـ بمعناه العام ـ فى الإنجيل :

يقصد بالإنجيل ـ فى هذا المقام ـ الأسفار الأربعة المسماة « إنجيل متَّى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا» وهى تشكل معا ما يعرف « بالأناجيل الأربعة» ومنها يتكون القسم الأول [1] من العهد الجديد، وقد وردت فيه بالتوالى على النحو المذكور، أما

(١) ليس هناك تقسيم أصيل فى كتاب العهد الجديد، وإنما قلنا بهذا لبيان محتوياته.

القسم الثاني منه فهو الخاص « بأعمال الرسل» ، ويليه القسم الخاص « بالرسائل» ، وأخيرا يأتي القسم الخاص بسفر الرؤيا [1] وبه يختتم العهد الجديد .

وهذه الأسفار الأربعة لم يكتبها المسيح عليه السلام كما أنه لم يأمر كاتبيها بتدوينها، بل كتبها ــ بعد فترة تبعد فى الزمان طويلا عن تاريخ رفعه عليه السلام ـ رجال من أتباع تلاميذه وأتباع حوارييه لم يتعاصروا ، إذ عاش كل منهم فى زمان غير زمان الآخرين ودوَّن الإنجيل المنسوب إليه حال قدرته على ذلك فاختلفت تواريخ تدوين الأناجيل .

وفى هذه الأناجيل الأربعة نجد الإسلام بمعناه العام أو الحنيفية ، فنجد الإقرار لله وحده بالربوبية وعدم الشرك به، على ما يبين من الآتى :

١ ــ جاء فى إنجيل يوحنا « ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلِّم ، فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم، أجابهم يسوع وقال تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم » (يوحنا : الإصحاح السابع : من ١٤ إلى ١٨).

ويبين من هذا النص أن الإنجيل يقرر أن المسيح عليه السلام قال ـ لمن تعجبوا عندما سمعوه يعظ بعلم من الكتاب ـ إن الذى علَّمه هو الله ، وأن الله هو الذى أرسله إلى الناس ليعلمهم صحيح الدين ، ثم إنه عليه السلام أضاف قائلا : إن ما يبلغه سامعيه هو ما أمره الله أن يبلغه ، فهو من عند الله وليس كلامه هو، ثم إنه عليه السلام استطرد قائلا إن من يأتى بكلام من عنده يخاطب به الناس مدَّعيا أنه كلام الله يكون كاذبا مفتريا طالب مجد الدنيا ـ وهذا شأن مدَّعى النبوة ـ ثم أوضح عليه السلام أن النبى الذى يرسله الله للناس إنما يسعى لتمجيد الله الذى أرسله فهو نبى صادق . ومعنى قول المسيح عليه السلام هذا هو إقراره أنه نبى مرسل من ربه يدعو لعبادته وحده بما أوحى إليه ، وهذا من الحنيفية .

(١) هى رؤيا يوحنا اللاهوتى.

٢ ـ وجاء في إنجيل يوحنـا « فنادى يسوع وقال: الذى يؤمن بى ليس يـؤمن بى بل بالذى أرسلنى، أنـا قد جئـت نورا إلى العـالم حتى كل من يـؤمن بى لا يمكث فى الظلمـة ، وإن سمع أحد كـلامى ولم يؤمن بى فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العـالم بل لأخلص العالم، ومن رذلنى ولم يقبل كـلامى فله من يـدينه، الكـلام الذى تكلمت بـه هو يـدينه فى اليـوم الأخير، لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم، وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية، فما أتكلم أنا به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم» (يوحنا : الإصحاح الثانى عشر : من ٤٤ إلى ٥٠).

فى هذا النص يقـرر الإنجيل أن المسيح عليه السلام كان يـدعو للإيمان بـالله وتوحيده، وأنه ـ لكونه داعيا إلى الله بإذنه ـ يكون نورا يهدى إلى الحق، ويكون شأن من صك أذنيه عن سماع دعوته إلى الله شأن من هو فى الظلمات ليس بخارج منها، ويكون أمره لله الذى يسأله عن كفره يـوم القيامـة ، يوم تكـون دعوة المسيح إلى عبـادة الله التى صك الكافـر أذنيه عن سماعهـا هى الحجة عليه ، لأن هـذه الدعوة إنما كـانت من المسيح عليه السلام تلبيـة لما كلَّفه إياه سبحانـه وتعالى لإبلاغ الرسالة ، أمـا من شرح الله قلبه للإيمان فآمـن بما دعا إليه المسيح عليه السلام من الإيمان بـالله وتوحيده وعدم الشرك به فإنه تكـون له فى الآخرة الحياة الطيبة وهى أبدية لا انتهاء لها. وهذا ـ بلا شك ـ من الحنيفية أو الإسلام بالمعنى العام.

٣ ـ وجـاء فى إنجيل يوحنـا أن المسيح عليه السـلام قال « الحق الحق أقـول لكم إن من يسمع كـلامى ويؤمن بـالذى أرسلنى فلـه حياة أبـدية ولا يأتى إلى دينـونة بل قـد انتقل من الموت إلى الحياة » (يوحنا : الإصحاح الخامس : ٢٤).

وهذا النص يفيـد أن المسيح عليه السلام قد أوضح أن التصـديق بكلامه هو إيمـان بالله الـذى أرسله ، وأن شأن المـؤمن أنه إذا مـات يكون قـد انتقل من دار الفناء إلى دار البقـاء، فالدار الآخرة هى الحيوان لو كانوا يعلمـون . وهذا الذى قال به المسيح عليه السلام هو لب الحنيفية وقلبها.

٤ ـ وجاء فى إنجيل يوحنا أن المسيح عليه السـلام قال : « وهذه هى الحياة الأبدية لمن

يعرفوك أنت الإلـه الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلتـه ، أنا مجَّدتك على الأرض ، العمل الـذى أعطيتنى لأعمل قد أكملتـه ، والآن مجِّدنى أنت أيهـا الآب عند ذاتك بـالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم ، أنـا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم ، كانوا لك وأعطيتهم لى وقد حفظوا كلامك ، والآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك ، لأن الكلام الذى أعطيتنى قـد أعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقينا أنى خـرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتنى » (يوحنا : الإصحاح السابع عشر : من ٣ إلى ٨).

فى هـذا النص يذكـر الإنجيل أن المسيح عليـه السلام نـادى بـوحدانيـة الله معلما أنـه سبحـانـه وتعالى وحـده هـو الإلـه الحق ، وفى هـذا نفى الألـوهية عن الكـواكب والأجـرام السماوية التى كان البعض يعبدونها ، ونفى الألوهيـة عن الأصنام والتماثيل التى كان يعبدها آخرون ، ونفى الألـوهية عن كل مـا يعبد من دون الله الفرد الصمـد من ملائكـة وإنس وجان وحيوان ونبات ، وفيه أيضا إثبات الألوهية لله الـواحد القهار ، وفيه إعلامه عليه السلام أن من شهد بأنه لا إله إلا الله وبأنه ـ عليه الســلام ـ رسول الله فإن له دار الخلد فى الآخرة ، كما أن فيه تقريره عليه السلام أنه قد أكمل الرسالة التى بعث بها ، ولذلك فإنه يسأل الله ـ فى النص ـ أن يـؤتيه الفضيلة والـدرجة التى وعد الله بهـا رسله حين اصطفـاهم فى أم الكتاب قبل أن يـولدوا وقبل أن تكـون حياة ، وفيـه بيان ذكـر المسيح عليـه السلام أن أداءه الـرسالـة تحقق بهدايته أنـاسا لمعرفة الحق سبحانـه وتعالى كانوا من سائر خلق الله الـذين يملكهم سبحانه وتعـالى وبيده مقـاديرهم وأحـوالهم ، فلما شـاءت إرادته سبحـانه وتعـالى أن يؤمنـوا بدعـوة المسيح عليـه السلام صـاروا أنصارا لـه أو نصارى ، وقـد تحقق ذلك فيهم يوم آمنـوا أن كل ماقالـه المسيح عليه السلام وكل ما قـام به من المعجزات مثل إحياء المـوتى وشفاء الأكمه والأبرص إنما كان من الله وبفضله ، وما كـان ذلك إلا لأنه عليه السلام لم يقل لهم إلا ما أمره الله أن يقول أن اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، فكان منهم قبول الدعوة ، ودخل الإيمان بالله الـواحد قلوبهم فآمنـوا به ربا وبـالمسيح عليه السلام رسولا . وليس أدل من هـذا القول دليل على أن ما قـاله المسيح عليه السلام هـو مخ الحنيفية أو الإسلام بمعناه العـام ، وأن ما قال هو عماد دعوته وأساسها المتين .

٥ ـ وجاء في إنجيل يوحنا أيضا أن المسيح عليه السلام خاطب اليهود قائلا : « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه، لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب، يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه.. رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني، فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذلك فكيف تصدقون كلامي » (يوحنا : الإصحاح الخامس : من ٤٤ إلى ٤٧).

هنا يقرر الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال لليهود إن من كانت الدنيا ملء قلبه فالتمس العزة لدى غير الله صُدَّ عن الإيمان وكان عاقبة أمره الخسران المبين، وأن من يؤمن برسول يكون من شأنه أن يؤمن بما بشَّر به وبمن بشَّر به رسولا يأتي من بعده، وإنه لما كان موسى عليه السلام قد بشَّر به رسولا من بعده فإن كفرانهم إياه يكون كفرا بكتاب موسى الذى يدَّعون اتباعه وإيمانهم بدعوته؛ ولذلك فإن إنكارهم المسيح عليه السلام يكون كفرا منهم بكتاب موسى الذى يدَّعون أنهم به يؤمنون، ويكون كتابهم حجة عليهم .

وليس ثمة شك في أن ما جاء بقول المسيح عليه السلام من فساد سعي من توكل على غير الله هو من الحنيفية، لأن مقتضى الإيمان بوحدانية الله وانعقاد تصريف الأمور بإرادته هو عدم التماس العزة لدى غيره، أما باقي قوله فهو ذكر لمعلوم تعيه القلوب المبصرة، وهو أن من آمن بكتاب أنه من عند الله يكون متعينا عليه أن يؤمن به وبما جاء فيه واشتمل عليه من البشارات فلا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

٦ ـ وجاء في إنجيل مرقس في شأن بيان ردِّ المسيح عليه السلام على سؤال لأحد كهنة بني إسرائيل خلال إحدى محاوراته : « فجاء واحد من الكهنة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك وليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب جيدا يامعلم، بالحق قلت لأنه واحد

وليس أحد سواه » (مرقس : الإصحاح الثانى عشر: من ٢٨ إلى ٣٢).

هنا يذكر الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال مقرا إنه إنما يذكر ما خوطب به يعقوب (إسرائيل) عليه السلام ، وما جاء فى توراة موسى أنه أساس كل شيء ، وما يتعين أن يكون كذلك لدى أتباعه عليه السلام، وأن هذا الذى هو أساس كل شيء هو الإيمان بوحدانية الله ومكان هذا الإيمان هو القلب ، فمن شأن المؤمن حقا أنه يحب الله ، وإذا كان من يحب أحدا فإنه يعمل على إرضائه وتجنب إغضابه فإن من يحب الله بكل قلبه لابد عامل على طاعته وتنفيذ أوامره وتجنب نواهيه ، فلابد للحب أن يكون بجماع النفس فيبدأ المحب عمل الطاعة بنهى النفس عن الهوى ، حتى إذا ملأ عليه حب الله نفسه امتنعت النفس عن الأمر بسوء أو فحشاء، ثم إنه يكون حب المؤمن لله ملء فكره فلا يفكر فى معصية فيكون صون الجوارح ، ثم يكون أن يملك الحب قدرته فيقرن الإيمان بالعمل بكامل القدرة. وهذا الذى أجاب به المسيح عليه السلام سائله هو الحنيفية الحقة أو الإسلام بمعناه العام ، فإذا ما أردف قائلا إن هناك وصية تلى الإيمان بالله وتوحيده ولها أيضا العظمة وهى « حب قريبك كنفسك » وهى المتضمنة معنى « الأخوة الإنسانية ، والأخوة بين المؤمنين » وفيها النصح بالتراحم والمودة أدركنا أن المسيح عليه السلام إنما نادى صراحة بالحنيفية ودعا إلى أخلاق أهلها. ويذكر الإنجيل بعد ذلك أن الكاتب السائل ــ وهو من رجال الدين اليهودى ـ صدَّق على قول المسيح وأعلن صحته ثم إنه أكد صحته بقوله إن الله واحد لا شريك له ، وهو مايعنى أن الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به هو العقيدة الصحيحة فى توراة موسى.

وقد ورد ذكر هذه الرواية وإجابة المسيح عليه السلام على سؤال رجل الدين اليهودى فى كل من إنجيل متَّى وإنجيل لوقا ، ولكن مع اختلاف العبارة واختلاف شخص قائلها وشخص المصدق بها المقر بصحتها مع بقاء المعنى على حاله، فقد جاء فى إنجيل متَّى : « أما الفريسيون فلما سمعوا إنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معا وسأله واحد منهم ناموسى ليجربه قائلا: يامعلم أية وصية هى العظمى فى الناموس، فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه هى الوصية الأولى والعظمى، والثانية

مثلهـا تحب قـريبك كنفسك ، بهـاتين الـوصيتين يتعلق النـاموس كلـه والأنبيـاء » (متَّى : الإصحاح الثـانى والعشرون : من ٣٤ إلى ٤٠). وجاء فى إنجيل لـوقا : « وإذا نامـوسى قام يجربـه قائلا يامعلم ماذا أعمل لأرث الحيـاة الأبدية ، فقال لـه ما هو مكتوب فى النـاموس ، كيف تقـرأ، فأجاب وقـال تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قـدرتك ومن كل فكرك وقـريبك مثل نفسك ، فقال له بـالصواب أجبت ، افعل هذا فتحيا » (لـوقا : الإصحاح العاشر ، من ٢٥ إلى ٢٨).

٤٣ـ طبيعة المسيح عليه السلام فى الإنجيل :

٤٣ـ١ـ تقديم: يقتضى الإقرار باشتمال الإنجيل على الحنيفيـة أو الإسلام بمعناه العام ضرورة الإقرار بأنه يقر بالطبيعة البشرية للمسيح عليه السلام مما لا يكون معه مقبولا القول إن المسيح هو الله ولا القـول إنه جزء من الله تجسد فـى صورة بشر، فمثل هذه الأقـوال تتنافى وعقيدة التوحيـد، كذلك فإنه لا يكون مقبـولا معه القول إن المسيح عليه السـلام هو ابن الله بالمعنى الحسِّى أو المادى للبنـوة رابطة وعلاقة بين الابن وأبيه ، لأن هذا القـول يتنافى وتنزيه الإله الخالق عن أن يكون من أصحاب الغرائز ـ تعـالى الله عن إثم هذا القول علوا كبيرا ـ كما يتنافى والإقرار بصمديته ومقتضاها عدم المماثلة .

ويقتضى استجلاء حقيقـة الكيفية التى رسخت بها أمثـال هذه العقائد لدى أصحـابها ، ومدى مـوافقتها نصوص الأنـاجيل التى بين أيدينا البـدء ببيان منشأ هذه العقـائد، ثم التثنية بدراسة نصـوص الأناجيل الواردة فى شأن طبيعته عليـه السلام وذلك للخلوص إلى رأى فى المسألة محل البحث .

٤٣ـ٢ـ منشأ العقائد القائلة بألوهية المسيح والقائلة ببنوته لله :

يعتبر القرار الصـادر من المؤتمر المسكونى أو المجمع المسكونى الـذى انعقد فى نيقية سنة ٣٢٥ م (سنة خمس وعشرين وثلاثمائة للميـلاد) هو مبتدأ ظهور عقيدة ألوهية المسيح عليه السـلام والقول ببنُوتـه لله . وقد أمر بهذا المـؤتمر قسطنطين الملك ليتحاور فيـه رجال الدين المسيحى فى موضوع « طبيعة المسيـح » بعد أن تعددت فى شأن هذه الطبيعة الآراء ،

إذ كان هناك رأى آريوس وأتباعه وكانوا يقولون بالطبيعة البشرية للمسيح عليه السلام. وبكونه مخلوقا، وذلك ترتيبا على عقيدتهم المقرة بوحدانية الله الخالق. وكان هناك رأى من عرفوا باسم «المريمية» وهؤلاء كانوا يقولون بألوهية المسيح عليه السلام وألوهية مريم العذراء، وكان هناك رأى بولس الشمشاطى وأتباعه وكانوا يرون أن المسيح عليه السلام إنسان خلق من اللاهوت فكان ابتداؤه من مريم وحلت فيه المحبة والمشيئة، وإنه لذلك دعى ابن الله. كما كان هناك رأى بولس الرسول القائل: «ربنا هو المسيح» وقد انتهى هذا المؤتمر بصدور قرار المجمع المسكونى باعتبار المسيح عليه السلام ربا هو ابن الله المساوى له فى جوهره، وذلك على ما يبين من عبارة القرار التى تقول: «نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساو للأب فى الجوهر، الذى به كان كل شىء، هذا هو الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاص نفوسنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب فى عهد بيلاطس، وتألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما كتب فى الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب، وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات، الذى ليس لملكه انقضاء».

ولما كان هذا القرار - كما يبين من عبارته - لم يسبغ على «الروح القدس» مكانة خاصة فإن البعض قال بأن الروح القدس مخلوق مثل سائر المخلوقات ومن هؤلاء «مكونيوس» بطريرك القسطنطينية، وقد دفع هذا القول الملك «تيئودوسيوس» إلى إصدار أمر بعقد مجمع مسكونى فى القسطنطينية وذلك سنة ٣٨١ م (إحدى وثمانين وثلاثمائة للميلاد) لبحث رأى مكونيوس، واجتمع المجمع الذى حضره مائة وخمسون أسقفا تحت رئاسة «تيموتاوس» بطريرك الإسكندرية، وانتهى قراره إلى تخطيىء رأى «مكونيوس» فى الروح القدس، وإلى التصديق بقرار مجمع نيقية وإضافة فقرة إليه فى شأن «الروح القدس» تقول عبارتها: «نعم نؤمن بالروح القدس، الرب المحيى المنبثق من الأب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق فى الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونتتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين».



٤٣-٣- نصوص الأناجيل الواردة فى شأن طبيعة المسيح ودلالاتها:

يلاحظ ـــ بصفة مبدئية ـ أن نصوص الأناجيل التى ورد ذكرها تحت عنوان : الإسلام بمعناه العام فى الإنجيل تتضمن بيان الطبيعة البشرية الخالصة للمسيح عليه السلام ، وكونه إنما بعث رسولا من الله سبحانه وتعالى، ونضيف ـــ فى شأن بيان هذه الطبيعة ـــ بعض نصوص الأناجيل مع بيان معانيها ومدلولاتها.

١ ـ جاء فى إنجيل مرقس ما يفيد أنه عندما سأل بعض التلاميذ عن علامات الساعة جعل المسيح عليه السلام يفصِّل فى بيان هذه العلامات ومنها إنه « متى صار غصن شجرة التين رخصا وأخرجت أوراقا فإن الصيف يكون قريبا[1]» ، وإنه عليه السلام أضاف موضحا إن أحدا من الخلق لا يعلم موعدها إلا الله ، إذ جاء فى هذا الإنجيل أنه عليه السلام ـ بعد أن أوضح علامات الساعة ـ قال : « الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول ، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب» (مرقس: الإصحاح الثالث عشر : من ٣٠ إلى ٣٢).

٢ ـ جاء فى إنجيل يوحنا أنه عندما ظهر المسيح عليه السلام لمريم المجدلية أثناء وقوفها عند القبر بعد أن عرفته أنه طلب منها ألا تلمسه لأنه لم يصعد بعد إلى الله ، وأنه وصف الله بأنه إلٰهه وإله تلاميذه والمؤمنين به ، وأنه أبوه وأبوهم ، وذلك فى النص القائل : «قال لها يسوع يامريم ، فالتفتت تلك وقالت له ربونى الذى تفسيره يامعلم ، قال لها يسوع لاتلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى ، ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» (مرقس : الإصحاح العشرون : ١٦و ١٧). وفى هذا النص أوضح المسيح عليه السلام أنه لا يختلف فى طبيعته عن طبيعة تلاميذه والمؤمنين به ، وأن صلته بالله هى ذات صلتهم به وهى أن كلا منهم عبد من عباد الله.

---

(١) ومعنى هذا إنه إذا ما قام لبنى إسرائيل كيان وارتفع هذا الكيان فإن ذلك يكون علامة تدل على قرب يوم القيامة ، بيان ذلك أن المسيح عليه السلام وصف بيت إسرائيل بشجرة التين مد يده ليأخذ من ثمرها فلم تعطه فدعا عليها أن تيبس ، وذلك فى إشارة إلى بنى إسرائيل الذين دعاهم للإيمان فرفضوا وأنكروه.

٣ ـ وجاء في إنجيل متَّى إن المسيح عليه السلام كان يصلي ويتضرع إلى الله وأنه دعا الله أن ينجيه مما عزم أعداؤه عليه من إيذائه والنيل منه، وأنه عليه السلام صرَّح بما كان يجيش في نفسه من حزن واكتئاب، وهذا الذي فعله المسيح عليه السلام لا يتصور أن يأتيه إلا بشر وكذلك ما اعتراه من أحاسيس لا يشعر بها إلا البشر، فلا يتصور أن يصلي الله متضرِّعا إلى غيره وأن يدعوه أن ينجيه من المهالك، ولا يتصور أن يحزن الله وتكتئب نفسه خوفا من أهوال مقبلة؛ ولذلك فإن ما جاء في هذا النصّ ينفي صراحة ألوهية المسيح عليه السلام ويقطع ببشريته. وهذا هو نص الإنجيل: « حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيماني فقال للتلاميذ اجلسوا هاهنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت، امكثوا هاهنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلا وخرَّ على وجهه وكان يصلي قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت » (متَّى: الإصحاح السادس والعشرون: من ٣٦ إلى ٣٩).

٤٣ـ٤ ـ الشبهات التي تثيرها بعض نصوص الأناجيل، وبيان وجه الحق فيها:

تتعدّد هذه النصوص وتجتمع في طائفتين، أولاهما هي النصوص التي تثير شبهة ألوهية المسيح، والثانية هي التي تثير شبهة بنوته لله وذلك لدى الآخذين بالشبهة. ومن الطائفة الأولى ماورد في إنجيل يوحنا من أن المسيح عليه السلام قال: « خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي، أنا والآب واحد» (يوحنا: الإصحاح العاشر من ٢٧ إلى ٣٠). والعبارة التي أثارت الشبهة في هذا النص هي « أنا والآب واحد». ومنها أيضا أنه ورد في ذات الإنجيل أن فيلبس سأل المسيح عليه السلام أن يريه الله فقال له عليه السلام إن من رآه فقد رأى الله، وذلك في النص القائل: «قال له فيلبس ياسيد أرنا الآب وكفانا، قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يافيلبس، الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب، ألست تؤمن أني أنا

فى الآب والآب فىَّ » (يوحنا : الإصحاح الرابع عشر ، من ٨ إلى ١٠).

وفى استكناه حقيقة ما تدل عليه النصوص يلاحظ الآتى :

١ ـ إنه قد ورد فى ذات الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال فى تلاميذه «إنه وإياهم فى الله فهم جميعا واحد» ، وهذا القول شبيه قوله « أنا والآب واحد » ، فلو كان مؤدى قوله « أنا فى الآب والآب فىَّ» أن المسيح هو الآب أو الله للزم أن يكون جميع التلاميذ أربابا آلهة ، وهذا غير صحيح ولا يقول بـه الإنجيل ، فقد ورد فى ذات الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال : « ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ليكون الجميع واحدا كما إنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى» (يوحنا : الإصحاح السابع عشر: ٢٠و ٢١). وعلى هذا فإنه يمكن القول إن قول المسيح عليه السلام ـ كما ورد فى الإنجيل ـ أنه فى الله وأن الله فيه لا يتعلق بالحلول وأن الله حلَّ فيه ، وإنما يتعلق بالاتحاد الحكمى الذى يكون عليه العبد من عباد الله الذى يتقرب إليه بالعبادات والطاعات وبصالح الأعمال حتى يصبح ـ كما ورد فى الحديث القدسى ـ ربانيا ، لكنه لا يعنى أن يصبح هو الله ولا أن يصبح والله ذاتا واحدة ، تعالى الله عن هذا علوا كبيرا .

٢ ـ إن قول المسيح عليه السلام « أنا والآب واحد» إنما يعنى مقروءا مع باقى العبارة ـ أن من آمن بالمسيح فقد آمن بالله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ، وقد جاء فى القرآن العظيم قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

[الفتح : ١٠]

والمعنى المقصود إدراكه من مثل هذه النصوص هو أن ما يقوله الرسول هو قول الله ، وأن مبايعة الرسول هى مبايعة الله تتم بواسطة الرسول . فإذا كان المسيح عليه السلام قد قال إن أحدا لن يستطيع أن يضل من آمن به وفق قوله « لا يخطفها أحد من يدى» وعلَّل ذلك بأن الله

هـو الذى هـداهم للإيمـان فـلا يستطيع أحد أن يضل من هـدى الله وفق قـوله « أبى الـذى أعطانـى إياهـا هو أعظم من الكل ولا يقـدر أحد أن يخطف من يـد أبى» ، ثم أعقب ذلك بقوله إنه والله واحد، فإن المعنى يكون هو ذات معنى قوله تعالى فى القرآن العظيم «من يطع الرسول فقد أطاع الله » ، وذلك لأن الإيمان إنما يكون ـ فى المقام الأول ـ بالله ، ويكون الأمر هو أمر الله ، وتكون الطاعة هى طاعة لله ، فلمـا كان كل ذلك يتم بواسطة الرسول فإنه يكون تشريفا للرسول أن ينسب ما يصدر منه من فعل وقول إلى الله ، ويكون له أن يقول إنـــه والله ـ فى مجال ما يرى مشاهدوه منه وما يسمعون ـ واحد ؛ وذلك لأنه لاينطق عن هوى وإنما هو وحى يوحى .

ويؤكد هذا المعنى أنـه ورد فى رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كـورنثوس أنهم ـ حال إيمـانهم ـ يكـونـون هيكل الله الحى ، فقد جـاء فى هـذه الرسـالـة : « فإنكم أنتم هيكل الله الحى ، كمـا قـال الله إنـى سأسكن فيهم وأسيـر بينهم » (كـورنثـوس الثـانيـة : الإصحـاح السادس : ٦) . ومن غيـر المتصور أن يكون المخـاطبون بالـرسالة هيكل الله حقيقـة ، وإنما وصفـوا بذلك تشـريفا لهـم وتدليـلا على أن قلب المؤمـن يكون شبيـه بيت الله ، وأن غايـة الإيمان أن يكون الله ملء قلب المؤمن فيكون معه حيثما يكون .

ومن الطائفة الثانية من هذه النصوص التى تثير شبهة بنوة المسيح عليه السلام لله ـ تعالى عما يشركون ـ ما جاء فى إنجيل متّى من قـوله : « فى ذلك الوقت أجاب يسوع وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكمـاء والفهماء وأعلنتها للأطفال ، نعم أيها الآب لأن هكـذا صارت المسرَّة أمامك ، كل شىء قـد دفع إلىَّ من أبى وليس أحد يعـرف الابن إلا الآب ، ولا أحـــد يعـرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلـن لـه » (متّى : الإصحاح الحادى عشر : من ٢٥ إلى ٢٧) .

فاستنادا إلى هـذا النص وما ماثله من النصـوص ـ وهى كثيرة فى الأناجيـل ـ قال البعض من أتبـاع المسيح عليه السـلام بعد رفعـه بمدة طـويلة إنـه ابن الله ، ويقتضى الوقـوف على المعنى المقصـود من وصـف الله سبحـانـه وتعـالى بـالآب ووصف المسيح بـالابن استقـراء



المواضع التى ورد فيها وصف الله بالآب ووصف بنى البشر بأبناء الله أو وصف أحدهم بأنه ابن الله من الإنجيل . ومن هذه المواضع وما ورد فيها من النصوص ما يأتى :

١ ـ جاء فى إنجيل متَّى قوله : « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله ، طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يُدعون» (متَّى : الإصحاح الخامس : ٧و ٨).

٢ ـ جاء فى ذات الإنجيل قوله : « فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحريِّ أبوكم الذى فى السماوات يهب خيرات للذين يسألونه » (متَّى : الإصحاح السابع : ١١).

٣ ـ وجاء فى ذات الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه : « ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السماوات» (متَّى : الإصحاح الثالث والعشرون : ٩).

٤ ـ جاء فى إنجيل مرقس قوله : « ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقا كان هذا الإنسان ابن الله » (مرقس : الإصحاح الخامس عشر : ٣٩).

ومن هذه النصوص يبين أن تعبير « ابن الله » الوارد فى الأناجيل فى مواضع كثيرة هو تعبير يكنى به عن الصلاح والتقوى فى نفس الموصوف به أو المسمَّى ، فابن الله هو من يطيع الله ولا يعصى له أمرا ، فجاء وصفه بأنه ابن الله للدلالة على هذه الطاعة لأن الابن البار لا يعصى لأبيه أمرا ، وإذا جاز وصف العبد الصالح بهذا الوصف فإن الأولى منه به هو نبيُّ الله ورسوله ، دون أن يكون معنى هذا أن النبى أو الرجل الصالح هو ابن الله بحكم رابطة الدم أو النسب. كما يبين منها أن المسيح عليه السلام حثَّ المؤمنين على أن يدعوا الله أباهم ، فهو سبحانه وتعالى . يجيب دعوة الداعى منهم فيعطيه سؤله كما يعطى الأب ابنه ما يسأله ، وفى هذا إشارة إلى ما يعرف «بأخوة الإيمان» إذ ينتسب جميع المؤمنين لله فيكونون إخوة ، ولكن دون أن يكون فى هذا إشارة إلى كون الله سبحانه وتعالى أبا لهم بالحقيقة .

وعلى هذا فإنه يبدو واضحا أن الشبهات التى رأى البعض أن بعض نصوص الأناجيل تثيرها حول ألوهية المسيح عليه السلام أو بنوته لله بنوَّة مادية حسِّية بحكم رابطة الدم والنسب هى شبهات زائفة ، فالمسيح عليه السلام ـ فى الأناجيل التى بين أيدينا ـ بشر اصطفاه الله وبعثه نبيا رسولا إلى بنى إسرائيل . دعا كما دعا جميع الأنبياء إلى عبادة الله وتوحيده وعدم الشرك به ، فكانت دعوته تجديدا للحنيفية فى العقيدة وتمسكا بالشريعة التى أنزلت على موسى عليه السلام إلى أن يجىء الرسول الخاتم فتنزل عليه الشريعة الناسخة فى الكتاب الذى جعله الله تماما لكل شىء ومهيمنا على الكتب .

ويؤكد زيف هذه الشبهات التى تثيرها بعض نصوص الأناجيل فى بعض نفوس أتباعه ، كما يؤكد أن التعبير عن أمر الرسول بأنه أمر الله وعن فعله بأنه فعل الله إنما يكون للتدليل على نسبة الأمر أو الفعل لله بواسطة الرسول كما يكون تشريفا للرسول أنه قد تعدَّد مثل هذا التعبير كثيرا فى توراة موسى وفى العهد القديم للتدليل على نسبه الأمر أو الفعل لله وتشريفا للرسول ، ومن ذلك ما يأتى :

١ ـ جاء فى التوراة أن يعقوب عليه السلام قال : « وقال لى ملاك الرب فى الحلم يا يعقوب فقلت ها أنذا ، فقال ارفع عينيك وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمَّرة لأنى قد رأيت ما يصنع بك لابان ، أنا إله بيت إيل » (تكوين : الإصحاح الحادى والثلاثون : من ١١ إلى ١٣) .

ففى هذا النص يذكر يعقوب عليه السلام أن الذى حادثه كان ملاك الرب ـ أى أنه رسول من الملائكة ـ وفى حديث هذا الملاك فإنه يتكلم بصيغة خطاب المتكلم حين يذكر كلام الرب فيقول « لأنى قد رأيت كل ما يصنع بك لابان » ، ثم إنه يصرح بعد ذلك قائلا « أنا إله بيت إيل » أى « أنا الله » ، ولم يقل أحد أن هذا الملاك كان هو الله ، فالإجماع على أنه كان رسولا من الملائكة جاء كلامه منسوبا إلى الله للتدليل على أنه قول الله ذُكر بواسطة رسول ، ثم إنه كانت نسبته إلى الله تشريفا للرسول .

٢ ـ وجاء فى التوراة أن الله قال لموسى عليه السلام فى شأن استعانته بأخيه هارون :

«فحينما يـراك يفرح قلبه، فتكلمه وتضع الكلمـات فى فمه، وأنا أكون مع فمك ومعـه فمه وأعلمكمـا ماذا تصنعـان، وهـو يكلم الشعب عنك، وهـو يكـون لك فمًا وأنـت تكون لـه إلهًا». (خروج: الإصحاح الخامس: ١٤ـ١٦).

فهنا يقول النص إن الله قـال لموسى عليه السلام إن عليه أن يُعلم هـارون بما أوحى به الله إليه لينقل هارون الأفصح لسانا وحى الله لموسى إلى قومه، كما قال له إن هارون يكون له فى هذا بمثابة الفم حين يكون موسى عليـه السلام لهارون هو الله. والمعنى المقصود إن القول الذى يخبر به موسى أخاه هو قول الله فجاء وصف موسى بأنه الله تشريفا له لكونه الواسطة فى الإبلاغ والإخبار.

٣ـ وجـاء فى التوراة فى بيان كيفيه هـداية بنى إسرائيل للطـريق الصحيح فى سيرهم فى سيناء: «وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمـود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضىء لهم لكى يمشـوا نهارا وليلا» (خروج: الإصحاح الثـالث عشر: ٢١ و٢٢)، ثم أوردت التوراة فى ذات السفر فى بيان تفصيل ما كـان من شأن السائرين بهدايـة الله قولهـا: «فانتقـل ملاك الرب السـائر أمام عسكـر إسرائيل وسـار وراءهم وانتقل عمود السحـاب من أمامهم ووقف وراءهم» (خروج: الإصحاح الرابع عشر: ١٩).

فهنا كان السائر أمام بنى إسرائيل ملاك من الملائكة فعل ما أمره الله أن يفعل، فسار أمام بنى إسرائيل فى سحابة نهارا وفى عمود نـار ليلا، ثم انتقل من أمامهم إلى ورائهم تنفيذا لأمر الله، ومع الإقرار بأنه ملك كريم فقد ورد ذكره فى الإصحاح الثالث عشر من السفر بأنه الله، فكان وصفه بالألوهية لكونه الواسطة فى تنفيذ أمر الله وتشريفا له دون أن يفيد أنه الله.

كذلـك الحال بالنسبـة للشبهات التى تثيـرها بعض نصـوص الأناجيل فى بعـض نفوس أهله، والمقصـود هو النصـوص التى تصف المسيح عليه السلام بـابن الله والتى تصف الله بأنـه الآب. ويبين المعنى الصحيح لهذه النصـوص من مـلاحظة أنـه تتعدد النصـوص التى تصف الأنبياء والصـالحين بأنهم أبناء الله وتصف الله بأنـه الأب فى توراة مـوسى وفى العهد القديم وذلك دون أن يختلف على أن معانيها تخلص فى أن وصف إنسان ما بأنه ابن الله إنما

يفيد صلاح هذا الإنسـان وتقواه دون أن يكون مفاده وجود رابطة دم أو نسـب مادية أو حسِّية بينه وبين الله ، كمـا أن وصف الله سبحانـه وتعالى فى بعض المـواضع بأنه الأب إنمـا يفيد معنى رعايته العبد ورحمته به دون غير ذلك من سقيم التخريج ومنكره، ومن هذه النصوص الدالة على حقيقة المعنى ما يأتى :

١ - جاء فى التوراة أن الله قال لموسى عليه السـلام : « فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابنى البكـر، فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه » (خـروج : الإصحاح الرابع : ٢٢ و٢٣). فى هذا النص وصف الله نبيَّه يعقوب عليه السلام (إسرائيل) بأنه ابن الله البكر ، ويستفاد من لفظه أمران أولهما أن يعقـوب هو ابن الله ، وثانيهما أن لله أبناء آخرين، وذلك لكون يعقوب هو البكر فيهم . وواضح أن وصف يعقوب عليه السلام بأنه ابن الله البكر - فى النص - إنما قصد به التعبير عن صلاحه وتقواه وقربه من الله بفعله وبإيمانه وليس بحكم رابطة النسب .

٢ - جاء فى مزامير داود أن الله سبحانـه وتعالى قال فى شأن داود عليه السلام : « وحدث داود عبدى ، بدهن قـدسى مسحته، الذى تثبت يدى معه، أيضا ذراعى تشـدده، لا يرغمه عدو وابن الإثم لا يذلله ، وأسحق أعداءه أمـام وجهه وأضرب مبغضيه، أما أمانتى ورحمتى فمعه ويـاسمى ينتصب قرنه، وأجعل على البحر يـده وعلى الأنهار يمينه، هو يـدعونى أبى أنت ، إلهى وصخرة خلاصى، أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض» (المزمور التاسع والثمانون : من ٢٠ إلى ٢٧).

وفى هذا النص نجد أنه - من بعد ذكر مظـاهر تأييد الله نبيه داود عليه السلام - ذكر النص أن داود دعا ربه أباه ، وأن الله دعاه ابنا بكـرا له . ويبين من النص أن ذلك إنما كان لقرب داود من الله ولرحمة الله به وتأييده إياه ، وأنه كان من أمر صلاح داود وتقواه أن جعله الله ابنا بكرا له، أى إنه سبحانه وتعالى أعزَّه ورحمه وأعطاه ما سأل فكان منه معه - مع اختلاف المراتب - ما يكـون من الأب نحو ابنه، دون أن يكـون معنى هذا أن عـلاقة داود بالله هى عـلاقة الابن بأبيه ، تعالى الله عن مثل هذا القول علوا كبيرا .



٤٤ـ محمد عليه الصلاة والسلام في الإنجيل :

مقصودنا ـ في هذا المقام ـ هو بيان ما إذا كانت نصوص الإنجيل الذى بين أيدينا اليوم تتضمَّن « الإسلام بمعناه الخاص» بمعنى الإسلام الدين الذى أرسل به الله رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام داعيا إليه ومبلغا رسالته، وطبيعى أنه لا يقصد بهذا البيان مدى اشتمال الإنجيل الذى بين أيدينا على القرآن العظيم كتاب الله الذى أنزل على رسوله، وإنما يقصد به بيان ما إذا كان الإنجيل يتضمن التبشير بنبيِّ الإسلام عليه الصلاة والسلام ، فإذا تبيَّن لنا ـ في نصوص الإنجيل ـ وجود مثل هذه البشارة كان لنا أن نقول بوجود الإسلام فى الإنجيل ، وفى هذا الشأن يبين لنا الآتى :

١ ـ ورد فى الإنجيل أن المسيح عليه السلام بشَّر تلاميذه بمجىء هادٍ يأتى من بعد رفعه عليه السلام ، وأنه جاء فى قوله عليه السلام وصف النبى الذى يأتى من بعده ، وعلى هذا فإنه يتوجب علينا النظر فى أوصاف هذا المبعوث المبشَّر به كما ذكرها المسيح عليه السلام لنرى ـ بعد تفسير عبارة البشارة ـ ما إذا كانت هذه الأوصاف هى أوصاف رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام أم إنها ليست أوصافه وذلك للوصول إلى وجه الحق فى المسألة . وعبارات نصوص الإنجيل الواردة فى هذا الشأن هى :

(أ) إن المسيح عليه السلام قال : «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » (يوحنا : الإصحاح الرابع عشر : من ١٥ إلى ١٧) .

(ب) إن المسيح عليه السلام أردف قائلا : « بهذا كلمتكم وأنا عندكم ، وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسلة الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يوحنا : الإصحاح الرابع عشر : ٢٥ و ٢٦) .

(حـ) إن المسيح عليه السلام قال أيضا : « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى

من الابتداء» (يوحنا : الإصحاح الخامس عشر : ٢٦ و ٢٧).

(د) إن المسيح عليه السلام قال : «لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، لكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يبكِّت العالم على خطيَّة وعلى برٍّ وعلى دينونة ، أما على خطيَّة لأنهم لا يؤمنون بى ، وأما على برٍّ فلأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى أيضا ، وأما على دينوية فلأن رئيس هذا العالم قد دين ، إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم» (يوحنا : الإصحاح السادس عشر: من ٧ إلى ١٤).

٢ ـ إنه فى شأن معانى هذه الأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام نجد الآتى :

(أ) إن المسيح عليه السلام قد بدأ حديثه فى الآيات من ١٤ إلى ١٧ من الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا بقوله « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى» ، وفى هذا إشارة إلى أن الإيمان الصحيح بالمسيح عليه السلام وحبه يقضيان بوجوب الإيمان بكل ما قال وماأوصى به ، فإن كان فيما أوصى به وجوب الإيمان برسول يأتى من بعده تعيَّن على مُحبِّيه ألا يتخذوا من تمكن حبه فى قلوبهم سببا لعدم الإيمان بمن بشَّر به ، وإلا كان ما يزعمونه من حبهم إياه زيفا ومراء ، فالحب الحقيقى مقتضاه اتباع وصايا المحبوب وليس الحيد عنها . ثم إنه عليه السلام قال إنه سيطلب من الله أن يعطى مستمعيه معزيا آخر ليمكث معهم إلى الأبد ، ومعنى هذا أنه سيسأل الله بما له عنده من قدر أن يبعث فى الناس رسولا آخر ، ويبين ـ من لفظ « آخر» ـ وجه المماثلة بين المسيح عليه السلام وبين هذا الرسول الذى سيسأل الله أن يبعثه فى الناس ، وهو كون كل منهما بشرا اصطفاه الله برسالته ، ثم أوضح عليه السلام أن هذا الرسول الذى سيسأل الله أن يبعثه فى الناس سيمكث معهم إلى الأبد ؛ ولما كان معلوما إنه ليس لبشر الخلد ، فإن المعنى يكون هو خلود الدين الذى يبعث به هذا الرسول ، وهو ما يكون لكونه خاتم الأديان لا يناله نسخ ولا تبديل إلى يوم تقوم الساعة .



وبعد ذلك وصف المسيح عليه السلام هذا الرسول الذى يأتى من بعده بأنه « روح الحق» وذلك لكونه لا ينطق عن الهوى إنما هو وحى يوحى ، فقوله هو الحق لأنه من الله الحق ، والدين الذى يدعو إليه هو الدين الحق تمام الدين عند الله الحق ، ثم أوضح المسيح عليه السلام وجه الاختلاف بين من آمن به وبين من لم يؤمن به من باقى الخلق الذين بلغتهم رسالته ومنهم اليهود منكرو المسيح ، وغيرهم من الملاحدة وعبدة الأوثان الذين لم يؤمنوا لموسى من قبل ولم يؤمنوا بكتابه ، فأوضح إن شأن هؤلاء الأخيرين ألا يؤمنوا بالرسول المبشر به لأن قلوبهم غلف ، أما المؤمنون بالمسيح عليه السلام فشأنهم أنه يتعين عليهم أن يؤمنوا به لأنه معهم ، والمقصود « بأنه معهم » أن دعوته لله وتوحيده وعدم الشرك به موجودة مع أتباع المسيح فى الإنجيل وفى وصايا المسيح عليه السلام ، كما أنه «يكون فيهم» لأنه يبعث للبشر كافة رحمة للعالمين .

(ب) إن المسيح عليه السلام أوضح فى قوله الوارد فى الآية السادسة والعشرين من الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا أن هذا الرسول الذى سيبعثه الله من بعده سيعلم أتباعه كل شىء وإنه سيذكرهم بكل ما قاله لهم المسيح عليه السلام من قبل . ومعنى أنه سيعلم أتباعه كل شىء أنه سيأتى بدين كامل يتضمن أحكام الشريعة كما يتضمن مبادىء العقيدة ، بمعنى أنه لن يكون شأنه شأن المسيح عليه السلام الذى اقتصرت دعوته على مبادىء العقيدة فقط ، بما يعنى عدم تفريط الكتاب الذى سينزل على هذا الرسول فى شىء ، كما إنه سيذكِّر بما قال المسيح من قبل ، وهو ما يكون بالدعوة لما دعا إليه المسيح من قبل من عبادة الله وحده وعدم الشرك به ومن الحث على صالح الأفعال ، وما يكون بتضمن الكتاب الذى ينزل عليه ذكر ما دعا إليه المسيح من قبل فيكون فى ذلك تذكير لمن أراد أن يتذكر ومن ألقى السمع وهو شهيد ، ومن كان له قلب يسمع .

(جـ) إن المسيح عليه السلام قد بيَّن فى القول المنسوب إليه فى الآيتين ٢٦ و ٢٧ من الإصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا أن هذا الرسول الذى يأتى من بعده سيشهد له ، وأن أتباع المسيح عليه السلام سيشهدون له أيضا لأنهم كانوا معه من البداية . والمعنى إن

هذا الرسول سيشهد بنبوّة المسيح عليه السلام ويبعثه رسولا هاديا من الله أنزل عليه الإنجيل من ربه ، فلا ينكر عليه ذلك ، وأن شأن أتباع المسيح الذين يتبعون هذا الرسول المبشر به ألا ينكروا المسيح ونبوّته نتيجة اتباعهم الرسول المبشر به ، ذلك أن الأولى بهم أن يشهدوا له لأنهم كانوا مؤمنين من قبل أن يبعث هذا الرسول ، فهم من جهة أصحاب قلوب ذاقت حلاوة الإيمان فرقّت بما يصعب معه عليها أن تكفر بعد إيمان ، وهم - من جهه ثانية - قد أخبروا من قبل ببعثة الرسول المبشر به ، فيكون فى إيمانهم بصدق رسولهم سبب واضح للإيمان بمن بشّر به .

(د) إن المسيح عليه السلام قد ذكر فى الأقوال المنسوبة إليه فى الآيات من ٧ إلى ١٤ من الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا أنه يجب أن يصعد إلى ربه لكى يأتى الرسول المبشر به ، وهو ما يفيد أنه سيكون رسولا يأتى من بعده فلا يعاصره . وأن هذا الرسول سيلوم الذين لم يؤمنوا بالمسيح عليه السلام لكون إنكارهم إياه خطيئة تحسب عليهم كما أنه سيلومهم لسبب يتعلق بصعوده إلى السماء أو رفعه من الأرض ، وهذا الرفع هو - فى حد ذاته - خير وبِرٌّ ، إلا أنه لسبب يتعلق به - مثل فساد العقيدة - يصبح سببا يستوجب اللوم والتوبيخ ، كما أنه سيلوم أيضا رئيس هذا العالم وهو الحاكم فى وقت بعثة المسيح عليه السلام أى الإمبراطورية الرومانية المذنبة والمدانة ، وهو ما قد يكون لعدم الإيمان به ولمشايعة منكريه من اليهود ومناصرتهم عليه ، ثم لتعذيبهم من اتبعوه .

وقد أتبع عليه السلام هذا بقوله إنه متى جاء هذا الرسول فإنه يرشد إلى جميع الحق ، أى إلى الحق الكامل ، وهو ما يعنى أنه قبله لم يكن تمام الدين الذى يكون ويكون تمام النعمة بما يدعو إليه هذا الرسول المبشر به ، ثم أوضح المسيح عليه السلام أن هذا الرسول لا يتكلم من نفسه ، وإنما يتكلم بكل ما يسمع ، وإنه يكون منه أن يخبر بأمور وأحداث مستقبلة فيتحقق ما يخبر به ، وأنه يمجد المسيح عليه السلام ، ويأخذ مما له ويخبر أتباعه بذلك . ومعنى هذا أن صفات هذا الرسول تتمثل فى الآتى :

(١) إنه يكون بشرا له جسد وله حواس فهو يسمع ويتكلم ؛ ولذلك فإن وصفه بأنه « روح

الحق» لا يعنى أنه روح بلا جسد ولا أنه ملاك، وإنما هو تعبير يكنى به عن أنه لا يقول إلا صدقا وحقا، وهذا شبيه قولنا عن شخص أنه أصاب كبد الحقيقة، دون أن يعنى أن للحقيقة كبدا فى الواقع.

(٢) إنه لا يأتى بكتاب أو بكلام من عنده، لكنه يسمع كلام الله وهو ما قد يكون عن طريق رسول من الملائكة يقرئه ما أنزل الله عليه.

(٣) إنه ينقل ما يبلغه من كلام الله إلى الناس شفاهة بالقول وليس بالكتابة، وهو ما قد يكون ـ على الغالب ـ لكونه أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، كما يكون أمينا فى إبلاغ الرسالة فيخبر بكل ما ينزل عليه من ربه وإن تضمَّن معاتبته.

(٤) إنه فيما يبلغ به يخبر عن أمور مستقبلة تثبت الأيام تحققها.

(٥) إنه يعلى قدر المسيح عليه السلام فيما يخبر عنه من قول الحق.

(٦) إنه يخبر أتباع المسيح عليه السلام بما قاله وما ترك لهم أخذا من مصادره وهى أقوال المسيح عليه السلام، وهو ما قد يكون بالقضاء بين أهل الإنجيل بعضهم والبعض بما أنزل الله فيه وما أحال فيه على توراة موسى.

٣ ـ إنه ليس ثمة شك فى أن صفات الرسول الذى بشر به المسيح عليه السلام فى النصوص السابقة الإشارة إليها هى صفات رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، الذى كان بشرا رسولا اشتهر بالصدق والأمانة، أقرأه جبريل عليه السلام رسول الله من الملائكة والروح الأمين كتاب الله القرآن العظيم المنزل عليه من رب العزة فسمعه وأبلغه شفاهة، والذى كان أمينا فى أداء الرسالة فأبلغ ما أنزل إليه من ربه من آيات وإن تضمن بعضها معاتبته، والذى لم ينطق عن هوى فكان كلامه وحيا يوحى، أبلغ عن أمور مستقبلة تحققت جميعها كما أبلغ. وهو الذى شهد للمسيح عليه السلام وأمر المؤمنين أن يؤمنوا به رسولا نبيا، وقد جاء فى الكتاب الذى أنزل عليه « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » كما جاء فيه بيان ما أبلغ به المسيح عليه السلام. وهو الرسول الخاتم ليس من

بعده رسل، لن يعترى دينه نسخ ولا تبديل إلى يوم تقـوم الساعة، ولم يفرط كتابه فى شىء، جاء بـالشريعة وصـدَّق بالعقيدة الحقـة وبُعث للبشر كـافة ، فهو الـرسول المبشَّر بـه، مما يـوجب على أتباع الحق أن يقـولوا بـوجود الإسـلام ونبيِّـه عليـه الصـلاة والسـلام فى إنجيل المسيح .

●●*●*●*●



في ختـام هـذا البحث لا يسعني إلا أن أشكر الله وأحمـده على مـا أولاني من النعم كـان رأسها الإيمان فكنت من المـؤمنين بالغيب، عالما أن الإيمـان معرفة بالجنان وإقـرار باللسان وعمل بـالأركان، مـدركـا أن الغيب هو المـوجود بـالضـرورة وإن لم أشهده وأعلمـه حين أنَّ الغائب هو ما لا أشهده ولا يشهدني مما يجوز عليه أن يكون عدما غير موجود.

وقد كان لي غيبـا آمنت به قول ربي عن القرآن العظيم « وإنه لفي زبـر الأولين» وقوله عن الإسلام « إن الدين عنـد الله الإسلام» ، فلما أنار لي الله قلبي وجلا بصيـرتي أصبح ما كان لي غيبا واقعـا مشهودا، فعاينت الإسـلام فيما أنزل على الأنبيـاء والرسل من الصحف والكتب كمـا رأيت في هذه وتلك رسـولـه الكريم عليـه صلوات الله وسـلامـه. وإني في هذا لمـدين بواجب شكر كل من سبقني إلى بيـان ما وضعت اليوم لبنة في بنيـانه، مقرا لهم بفضل السبق وبأنهم كانوا لي نورا به اهتديت.

وإني لآمل أن يكون لي ممـا نالـوا من إحسان الله إليهم نذْرٌ يسيـر فيصير بجهـدي الكبير عليَّ الضعيف إلى جوار جهودهم ما كان غيبا آمن به البعض واقعا مشهودا لهم بعد أن بسطت أمـامهم مجالا واسعـا يسمعـون فيـه كتابهم ويشـاهـدون رسولهـم . والله يهدي إلى سـواء السبيل.



فهـــرسة تفصيليـــة للكتــاب

رقم الإيداع بدار الكتب : ٣١٨٣/ ٩٩

الترقيم الدولى : 5 - 42 - 5066- 977

بسم الله الرحمن الرحيم

من موضوعات الكتـــاب :

١ - التعريف بالإسلام، والصحف، والكتب .

٢ - إيمان قدماء المصريين بتعاليم الإسلام، وبيان الدليل على بعثة إدريس عليه السلام أو أوزوريس بها .

٣ - اشتمال صحف إبراهيم عليه السلام على تعاليم الإسلام، وبيان المخاطبين بها .

٤ - اشتمـال صحف موسى عليه السـلام على تعاليم الإسـلام، ودعوته الهكسوس ملوك مصر للإيمان بها .

٥ - اشتمـال توراة مـوسى عليه السلام على تعـاليم الإسلام، وتبشيره بـرسولـه ﷺ ووصفه ودعوته للإيمان له وبدعوته .

٦ - تبشير أنبياء بنى إسرائيل - فى العهد القديم - ببعثة رسول الله ﷺ من بعد المسيح عليه السلام، ودعوتهم للإيمان له وبخاتم الأديان .

٧ - تبشيـر المسيح عليه السلام بـرسول الله ﷺ، ووصفه ، ودعـوته لـلإيمان له وبـالدين الذى يدعو إليه .

٨ - إن الدين عند الله الإسلام .

دكتـــور

محمد محمود سعيد



الثمن : ٥ جنيهات